كتاب

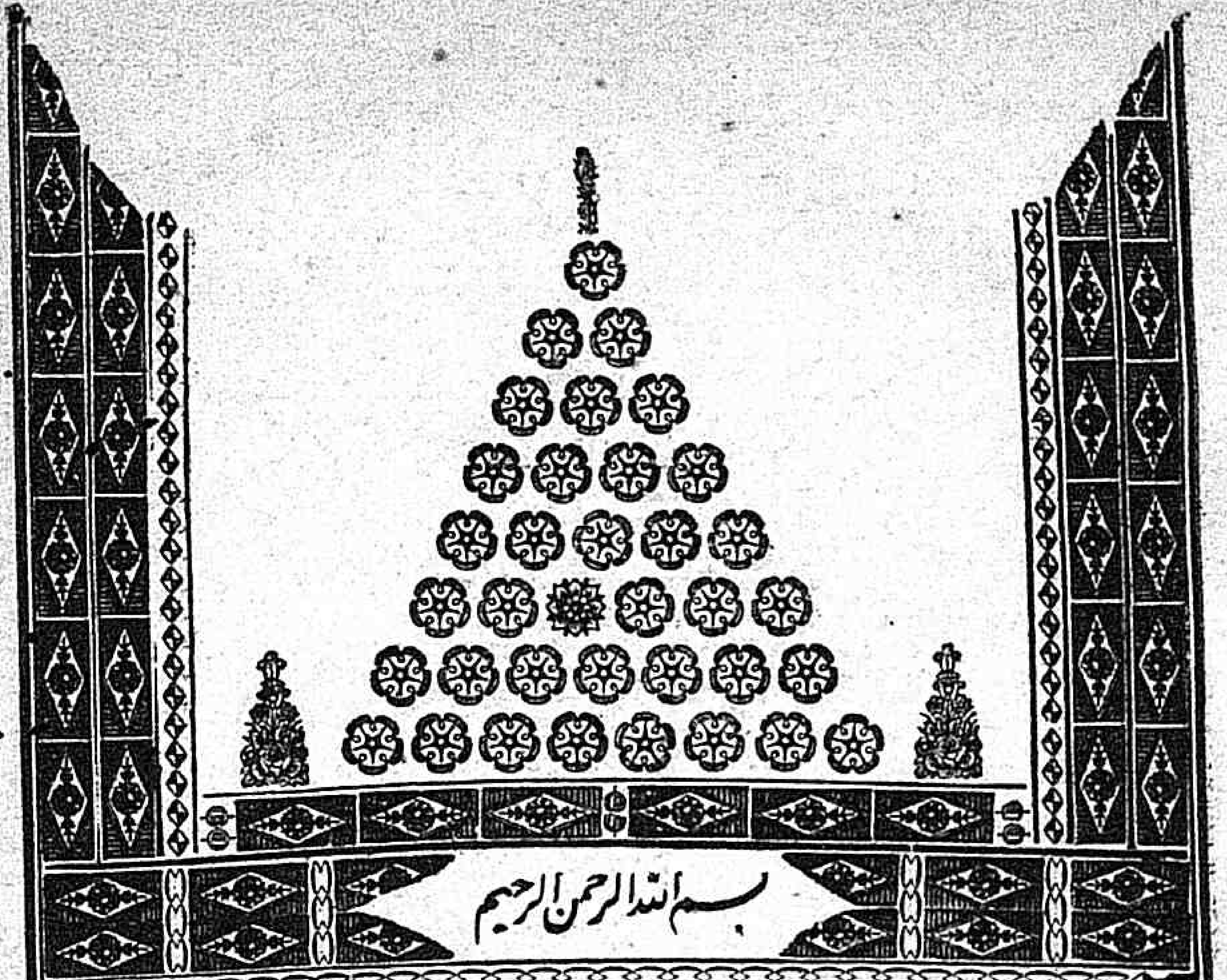
حسن التوسل

الى صناعة الترسل تأليف الامام
الفاضل جامع اشتات الفضائل شهاب الدين ابي
الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي
صاحب ديوان الانشاء بدمشق
المتوفى سنة ٧٢٥
تغمده الله
بغفرانه
آمين

على ذمة ملتزمه جناب الخواجه يوسف شيث
وكيل الجرائد العربية بمصر

طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٨ هجريه





أما بعد حمد الله جاعل الانسان مخبوا تحت اللسان محبوا من مواهب البلاغة فى المنطق بالمراتب الحسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص من معجز القرآن باوضح برهان وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان فانه لما جعل الله لى فى كتابة الانشاء رزقا باشرت بسببه من وظائفها ما باشرت وعاشرت من اجله من اكابر أهلها وأئمتها من عاشرت ورأيت من مذاهبهم فى أساليبها ما رأيت ورويت عنهم من قواعدها بالمجاورة والمحاورة ما رويت واطلعت فيها بكثرة المباشرة على طرائق وألجئت فيها باختلاف الوقائع الى مضائق أى مضائق ونشأ لى من الولد وولد الولد من عاناها وترشح لها من بنىّ من لم أرض له بالتلبس بصورتها دون التحلى بمعناها فأحببت أن أضع لهم ولمن يرغب فى ذلك فى هذه الاوراق من فصولها قواعد وأقيم لهم فيها على ما لا يسع الجهل به من اصولها وفروعها شواهد ليأتوا هذه الصناعة من ابوابها ويعلموا من طرقها ما هو الاخص بأوضاعها والاولى بها ﴿وسميته حسن التوسل الى صناعة الترسل﴾ وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فأول ما يبدأ به من ذلك حفظ كتاب الله تعالى ومداومة قراءته وملازمة درسه وتدبر معانيه حتى لا يزال مصورا فى فكره دائرا على لسانه ممثلا فى قلبه ذاكرا له فى كل ما يرد عليه من الوقائع التى يحتاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة به عليها وكفى بذلك معينا له فى قصده ومغنيا له عن غيره قال الله تعالى ما فرّطنا فى الكتاب من شئ وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس فى محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه وعجز الانس والجن عن الاتيان بسورة من مثله ومن ذلك أن سائلا

قال لبعض العلماء أين تجد فى كتاب الله تعالى قولهم الجار قبل الدار قال فى قوله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فطلبت الجار قبل الدار ونظائر ذلك كثيرة وأين قول العرب القتل أنفى للقتل لمن أراد الاستشهاد فى هذا المعنى من قوله عز وجل ولكم فى القصاص حياة وأكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يحل عن لفظه ولم يغير معناه لحن ذلك ما روى فى عهد أبى بكر رضى الله عنه هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك ظنى به وان جار وبدّل فلا علم لى بالغيب والخير أردت بكم ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون وروى ان عليا رضى الله عنه قال للمغيرة بن شعبة لما اشار عليه بتولية معاوية وما كنت متخذ المضلين عضدا وكتب فى آخر كتاب الى معاوية وقد علمت مواقع سيوفنا فى جدك وخالك وأخيك وما هى من الظالمين ببعيد وقول الحسن بن على عليه السلام لمعاوية وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وروى مثل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وكتب الحسن الى معاوية أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ورسولا الى الناس أجمعين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ✻ وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن على الى المنصور فى صدر كتاب لما حاربه طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون الى قوله تعالى منهم ما كانوا يحذرون ونقض عليه المنصور فى جوابه عن قوله انه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ونقل عن الحسن البصرى رحمه الله ما يدل على كراهية ذلك فقال حين بلغه أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية أنسى نفسه حين كتب الى عبد الملك بن مروان بلغنى أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره على الحجاج لكونه أنكر على غيره ما فعله هو وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز أن يستشهد به الا فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقوله تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ونحو ذلك مما يقتضيه الادب مع الله سبحانه وتعالى ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز اقامة الحجة وقطع النزاع واذعان الخصم كما روى أن الحجاج قال لبعض العلماء أنت تزعم أن الحسين رضى الله عنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتنى على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل والا قتلتك فقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وعيسى هو ابن بنته فأسكت الحجاج وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها فى بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والادلة القاطعة وأقرب ما اتفق من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب الى بغداد كتابا يعدد فيه مواقفه فى اقامة دعوة بنى العباس بمصر فكتب جوابه بهذه الآية يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ومن ذلك ما كتبه الادفونش الى يعقوب بن عبد

المؤمن بخط وزير له يقال له ابن الفخار باسمك اللهم فاطر السموات والارض والصلاة على السيد المسيح عيسى بن مريم الفصيح أما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب وعقل لازب انى أمير الملة النصرانية كما انك أمير الملة الحنيفية وقد علمتم ما عليه رؤساء جزيرة الأندلس من التخاذل والتواكل واخلادهم الى الراحة وأنا أسومهم الخسف وأخلى منهم الديار وأجوس البلاد وأسبى الذرارى وأقتل الكهول والشبان لا يستطيعون دفاعا ولا يطيقون امتناعا ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم وقد أمكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون أن الله عز وجل فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فلتقاتل عشرة منكم الواحد منا ثم بلغنى أنك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة الاقبال وتماطل نفسك عاما بعد عام وأراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولست أدرى أكان الجبن أبطأ بك أو التكذيب بما أنزل عليك ربك ثم بلغنى أنك لا تجد الى الجواز سبيلا لعلة لا يسوغ لك التقحم معها فأنا أقول ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك على أن تفى لى بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهن وترسل الىّ بجملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والأجوز بجملتى اليك وأبارزك فى أعز الاماكن عليك فان كانت لك فغنيمة وجهت اليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستوجبت سيادة الملتين والحكم على الدينين والله تعالى يسهل ما فيه الارادة ويوفق للسعادة لا رب غيره ولا خير الا خيره فكتب رحمه الله على أعلا كتابه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون * ومما جوزوا الاستشهاد به ما لا يقصد به الا التلويح الى الآية دون اطراد الكلام كقول القاضى الفاضل رحمه الله مما كتب به الى الخليفة عن صلاح الدين فى الاستصراخ وتهويل أمر الفرنج رب انى لا أملك الا نفسى وها هى فى سبيلك مبذولة وأخى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبولة وقد أكثر الناس فى الاستشهاد فمفرط فى الحسن ومفرط فأما تغيير شئ من اللفظ بغيره أو احالة معنى عما أريد به فلا يجوز وينبغى العدول عنه مهما أمكن والله أعلم * ويتلو ذلك الاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية صلوات الله على قائلها وسلامه وخصوصا فى السير والمغازى والاحكام والنظر فى معانيها وغريبها وفصاحتها وفقه ما لا بد من معرفته من أحكامها لينفق منها عن سعة ويستشهد بكل شئ فى موضعه ويحتج بمكان الحجة ويستدل بموضع الدليل وينصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ويبنى كلامه على أصل لا يرفع ويسوق مقاصده الى سبيل لا يصد عنه ولا يدفع فان الدليل على المقصد اذا استند الى النص سلم له وسلم والفصاحة اذا طلبت غايتها فهى بعد كتاب الله فى كلام من أوتى جوامع الكلم وقد كان على ذلك الصدر الاول من الصحابة وتابعيهم رضى الله عنهم فمن ذلك قول عكرمة بن أبى جهل فى منازعة الانصار يوم السقيفة والله لولا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الأئمة من قريش لما أبعدنا منها الانصار ولكانوا لها أهلا ولكنه قول لا شك فيه ولا خيار فأقام الحجة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل لا يرد * ومن ذلك قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى حق الانصار والله لو زالوا لزلت معهم لقول رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيهم أزول معكم حيثما زلتم هذا فى الاستشهاد * فأما فى الحل فالاولى أن يراعى لفظه ما أمكن والا فمعناه مما لا بد منه حدث الزبير بن بكار قال حدثنى محمد بن سلام قال قال ابن عون أدركت ستة من المحدثين فثلاثة يؤدون الحديث بلفظه وثلاثة اذا أدوا حدثوا بالمعنى لم يبالوا كيف قالوا فأما الثلاثة المؤدون باللفظ فابن سيرين والقاسم بن محمد بن أبى بكر ورجاء بن حيوة وأما الثلاثة الذين يحدثون بالمعنى فالحسن وابراهيم والشعبى فأما ما حال به المعنى فى الحل مثل قول ضياء الدين بن الأثير فى حل الحديث الوارد فى النهى عن وطء النساء الحوامل وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره من أنه نقله الى وصف منعم يشاركك فى الاحسان فقال واذا سمح بمنعم شركه فى نعمائه وخالف نص الخبر فى سقى زرع غيره بمائه فالاولى اجتناب مثل ذلك لما فيه من احالة معنى الحديث وخصوصا وقد فحشه بقوله وخالف نص الخبر واذا كانت القاعدة عند أهل هذه الصناعة ان الامثال لا تغير ألفاظها لاشتهارها بذلك اللفظ ودورانها على الالسنة فالحديث أحق وأولى ويتبع ذلك قراءة ما يتفق من كتب النحو التى يحصل بها المقصود من معرفة العربية بحيث يجمع بين طرفى الكتاب الذى يقرأه ويستكمل استشراحه ويكب على الاعراب ويلازمه ويجعله دأبه ليرتسم فى فكره ويدور على لسانه وينطلق به عقال قلمه وكلمه ويزول به الوهم عن سجيته ويكون على بصيرة من عبارته فانه لو أتى من البلاغة بأتم ما يكون ولحن ذهبت محاسن ما أتى به وانهدمت طبقة كلامه وألغى جميع ما يحسنه ووقف به عند ما جهله ويتعلق بذلك قراءة ما تهيأ من مختصرات كتب اللغة كالفصيح وكفاية المتحفظ وغير ذلك من كتب الالفاظ ليتسع عليه نطاق النطق وينفسح له مجال العبارة وينفتح له باب الاوصاف فيما يحتاج الى وصفه من خيل أو سلاح أو حرب أو سير أو قتال أو غير ذلك مما يحتاج الى وصفه ويضطر الى نعته ويتصل بذلك حفظ خطب البلغاء من الصحابة وغيرهم ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه وما نقضه عليه خصمه لما فى ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها وتلقى الحوادث بما شاكلها والاقتداء بطريقة من فلج على خصمه واقتفاء آثار من اضطر الى عذر أو ابطال دعوى أو اثباتها فلحن بحجته وتخلص بلطف مأخذه ودقة مسلكه وحسن عبارته فمن ذلك حديث عبد الرحمن بن عوف قال دخلت على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى علته التى مات فيها فقلت أراك بارئا يا خليفة رسول الله فقال أما انى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين الاولين أشد علىّ من وجعى انى وليت أموركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم أنفه يريد أن يكون له الامر والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الآذرى كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذى نفسى بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب رقبته فى غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا يا هادى الطريق جرت انما هو والله الفجر أو البحر فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله فان هذا يهيضك الى ما بك فوالله ما زلت صالحا مصلحا لا تأسى على شئ فاتك من أمور الدنيا ولقد قمت بالامر وحدك فما أردت الا خيرا (وكتب) على رضى الله عنه الى ابن عباس

رضى الله عنهما وهو بالبصرة أما بعد فان المرء يسره ادراك مالم يكن ليحرمه ويسوؤه فوت مالم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطق وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك وانظر مافاتك من الدنيا فلا تكن عليه جزعا وما نلته فلا تنعم به فرحا وليكن همك لما بعد الموت ومن ذلك ماحكى عن الربيع رحمه الله قال كنا وقوفا على رأس المنصور وقد طرحت للمهدى وسادة اذ أقبل صالح ابنه وكان قد رشحه أن يوليه بعض أمره فقام بين السماطين والناس على قدر طبقاتهم ومواضعهم فتكلم فأجاد فمد المنصور يده اليه ثم قال الى يابنى فاعتنقه ونظر فى وجوه أصحابه هل أحد يذكر مقامه ويصف فضله وكلهم كره ذلك وهاب المهدى فقام شبة بن عقال التميمى ثم قال لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه وأحسن بيانه وأمضى جنانه وأبل ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهدى أخوه وكما قال زهير بن أبى سلمى

يطلب شأو امرأين قدما حسنا * بذا الملوك وبذا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ماقدما من صالح سبقا

قال الربيع فأقبل على من حضر فقال والله مارأيت مثل هذا تخلصا أرضى أمير المؤمنين ومدح الغلام وسلم من المهدى فالتفت الى المنصور وقال ياربيع لا ينصرف التميمى الا بثلاثين ألف درهم (وحكى) أن رجلا دخل على المهدى فقال يا أمير المؤمنين المنصور شتمنى وقذف أمى فاما أمرتنى أن أحالله واما عوضتنى فاستغفرت له قال ولم شتمك قال شتمت عدوه بحضرته فغضب قال من عدوه الذى غضب لشتمه قال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن قال ان ابراهيم أمس به رحما وأوجب عليه حقا فان كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذب وعن عرضه دفع وما أساء من انتصر لابن عمه قال انه كان عدواله قال فلم ينتصر للعدو وانما انتصر للرحم فاسكت الرجل فلما ذهب ليولى قال لعلك أردت أمرا فلم تجد له عندك ذريعة أبلغ من هذه الدعوى قال نعم فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم * ومن ذلك ماحكى الزبير بن بكار أن معاوية قال لعمرو ابن العاص رضى الله عنه ان رأس الناس مع على عبد الله بن عباس فلو ألقيت اليه كتابا ترققه فانه ان قال قولا لم يخرج منه على عليه السلام وقد أكلتنا هذه الحرب فكتب الى ابن عباس كتابا منه (أما بعد) فان الذى نحن وأنتم فيه ليس باول أمر قاده البلاء وأنت رأس الناس بعد على فانظر فى هذا الامر بعين ما مضى فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولكم حياة واعلم بان الشام لا يملك الا بهلاك العراق وان العراق لا يملك الا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعذارنا فيكم وما خيركم بعد اعذاركم فينا ولسنا نقول ليت الحرب عادت علينا ولكنا نقول ليتها لم تكن وان فينا لمن يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه وانما هو أمير مطاع أو مأمور مطيع أو مشاور مأمون وهو أنت ثم بعث به اليه فاقرأ ابن عباس عليا الكتاب فقال أجبه فكتب اليه ابن عباس جوابا منه (أما بعد) فانى لا أعلم أحدا من العرب أقل حياء منك مال بك الى معاوية الهوى وبعته دينك بالخطر اليسير ثم خبطت الناس فى طخياء طمعا فى هذا الملك فلما لم ترشيأ أعظمت

الدماء اعظام أهل الدين وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع لا تريد بذلك الا الله ثم هيجت الحرب فان كنت تريد الله بذلك فدع مصر وارجع الى بيتك فان هذه الحرب ليس على فيها كمعاوية بدأها على بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالظلم وانتهى فيها الى السرف (وحكى) ان عتبة ابن أبى سفيان قال لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما مامنع عليا أن يبعثك مكان أبى موسى يوم الحكمين قال منعه والله من ذلك حاجز القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثنى مكانه لاعترضت لعمرو فى مدارج نفسه ناقضا ما أبرم ومبرما مانقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقى أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لامير المؤمنين من الاولى (ومن ذلك) ما كتبه معاوية الى على رضى الله عنه أما بعد فانك لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فاجابه لم تكن الجناية عليك حتى تكون المعذرة اليك ووفد على هشام بن عبد الملك وفود العرب يشكون جدب الحجاز فقال أصغرهم سنا يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث احداهن أذابت الشحم والثانية أكلت اللحم والثالثة أنقت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لله فانفقوا من مال الله فى عباد الله وان كانت لهم فردوا فيهم من مالهم وان كانت لكم فتصدقوا عليهم منها فان الله يجزى المتصدقين فقال هشام لله دره لم يترك لنا فى واحدة عذرا * فانظر فى هذا وأمثاله والحفظ منه والاكثار من مطالعته مما يشحذ القرائح ويفتق الاذهان ويرتسم فى الخواطر ويكمن فى الافكار حتى يفيض ماغاض منه على لسان القلم ويبدو منه لكل واقعة منوال ينسج عليه * ومثال نظر فى نظائر الامور اليه ثم النظر فى أيام العرب ووقائعهم وحروبهم وتسمية الايام التى كانت بينهم ومعرفة يوم كل قبيلة على الأخرى وما جرى بينهم فى ذلك من الاشعار والمناقضات لما فى ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة أو يرد عليه فى مكاتبة من ذكر أيام مشهورة أو ذكر فارس معين كما قال أبو نصر الفتح بن خاقان فى خطبة كتاب قلائد العقيان لو جاوره كليب ماطرق حماه أو استجار به أحد من الدهر حماه أو كان بجفر الهباءة ما انتضى قيس سيفه ولا قضى وطرا من حمل وحذيفه أو كان بوادى الاخرم لطاف به ربيعة وأحرم أو استنجد به الكندى ما كساه الملاءه أو كان حاضر بسطام ما أخر على الألاءه وكقول أبى تمام

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ماوطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

يشير الى أن حاجب بن زرارة التميمى وفد على كسرى فى سنة جدب فقال له الحاجب من أنت فقال رجل من العرب فلما دخل على كسرى قال له من أنت قال سيد العرب قال ألم تقل بالباب أنا رجل من العرب قال كنت بالباب رجلا منهم فلما حضرت بين يدى الملك سدتهم فلأجله درا وشكى اليه محل الحجاز وطلب منه ألف حمل برا على أن يعيد ثمنها فقال وما ترهننى على ذلك قال قوسى فاستعظم همته وقال قبلت وأعطاه حمل ألف بعير برا ومات حاجب فأحضر بنوه بعد موته المال وطلبوا قوس أبيهم فافتخرت تميم بذلك فأشار أبو تمام الى هذه المنقبة وقال

فأنتم بذى قار أبادت سيوفكم * جيوش الذين استرهنوا قوس حاجب

جفر الهباءة موضع قتل فيه حمل وحذيفة ابنا بدر الفزاريان



وأمثال ذلك فى نظائره كثيرة فى النظم والنثر فاذا لم يكن صاحب هذه الصناعة عارفا بكل يوم من هذه الأيام عالما بما جرى فيها لم يدر كيف يجيب عما يرد اليه من مثلها ولا ما يقول اذا سئل عنها وحسبه ذلك نقصا فى صناعته وقصورا عما يتحتم عليه من معرفته وحسن الجواب فيه عند السؤال عنه (ثم النظر فى التواريخ) ومعرفة أخبار الدول لما فى ذلك من الاطلاع على سير الملوك وسياساتهم وذكر وقائعهم ومكائدهم فى حروبهم وما اتفق لهم من التجارب التى بلغوا بها أقصى المآرب وغدت لمن بعدهم كالمرآة التى تصور لهم وجوه التدبير وتريهم ما استتر عنهم من صغير أحوالهم والكبير فانه قد يضطر الى السؤال عن أحوال من سلف من أول العصر والى الآن ويستخبر كيف كان الامر بين زيد وعمرو وكيف انتصر فلان على فلان أو يرد عليه فى كتاب ذكر واقعة بعينها أو يحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها ولا صدقها من مينها (ثم حفظ أشعار العرب) ومطالعة شروحها واستكشاف غوامضها والتوفر على ما يختاره العلماء بها منها كالحماسة والمفضليات والاصمعيات وديوان الهذليين وما أشبه ذلك لما فى ذلك من غزارة المواد وصحة الاستشهاد وكثرة النقل وصقل مرآة العقل وانتزاع الامثال والاخذ فى اختراع المعانى على أصح مثال والاطلاع على أصول اللغة وشواهدها والاضطلاع من نوادر العربية وشواردها وقد كان الصدر الاول يعتنون بذلك غاية الاعتناء فذكر أن عمر رضى الله عنه كان يقدم زهير بن أبى سلمى فى الشعر فقيل له بم استحق ذلك عندك فقال كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشى الكلام ولا يصف الرجل الا بما يكون فى الرجال (وذكر) عن بعض الأئمة أنه كان يحفظ ديوان هذيل وذكر أبو البركات بن الانبارى فى كتاب طبقات الادباء فى ترجمة أبى جعفر أحمد بن اسحق البهلول بن حيان الانبارى انه كان فقيها عالما واسع الأدب وتقلد القضاء لعدة من الخلفاء * وحكى عن ولده أبى طالب قال كنت مع أبى فى جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه والى جانبه أبو جعفر الطبرى فأخذ أبى يعزى صاحب المصيبة ويسليه وينشده أشعارا ويروى له أخبارا فداخله الطبرى فى ذلك ثم اتسع الامر بينهما فى المذاكرة وخرجا الى فنون كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاضرون وأعجبوا بها وتعالى النهار وافترقا فقال لى أبى يا بنى من هذا الشيخ الذى داخلنا اليوم فى المذاكرة فقلت يا سيدى كانك لم تعرفه قال لا فقلت هذا أبو جعفر الطبرى فقال انا لله ما أحسنت عشرتى فقلت كيف يا سيدى فقال ألا نبهتنى فى الحال فكنت أذاكره بعض تلك المذاكرة هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع فى صنوف العلم ما ذاكرته بحسبها ومضت على هذا مدة فحضرنا فى حق آخر وجلسنا واذا بالطبرى يدخل الى الحق فقلت له قليلا قليلا أيها القاضى هذا أبو جعفر الطبرى قد جاء مقبلا فأومأ اليه بالجلوس عنده فعدل اليه وجلس الى جانبه وأخذ يجاريه فكلما جاء الى قصيدة ذكر الطبرى منها أبياتا قال أبى هاتها يا أبا جعفر الى آخرها فيتلعثم الطبرى فينشدها أبى الى آخرها وكلما ذكر شيئا من السير قال أبى هذا كان فى قصة فلان ويوم بنى فلان مر يا أبا جعفر فيه فربما مر وربما تلعثم فيمر أبى فى جميعه ثم قمنا فقال لى الآن شفيت صدرى (فاذا أكثر) المترشح للكتابة من حفظ ذلك وتدبر معانيه سهل عليه حله وظهرت له مواضع

الاستشهاد به وساقه الكلام الى ابراز ما فى ذخيرة حفظه ووضعه فى مكانه ونقله فى الاستشهاد أو التضمين الى ما كأنه وضع له كما اتفق للقاضى أبى بكر الارجانى فى تضمين أنصاف أبيات للعرب فى بعض قصائده فقال

وأهد الى الوزير المدح يجعل * لك المرباع منها والصفايا
ورافق رفقة رحلوا اليه * فآبوا بالنهاب وبالسبايا
وقل للراحلين الى ذراه * ألستم خير من ركب المطايا
ولا تسلك سوى طرقى فانى * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وكما قال بديع الزمان الهمدانى أنا لقرب دار مولاى كما طرب النشوان مالت به الخمر ومن الابتهاج لمرآه كما انتفض العصفور بلله القطر ومن الارتياح الى لقائه كما التقت الصهباء والبارد العذب ومن الامتزاج بولائه كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب * وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المحدثين كأبى تمام ومسلم بن الوليد والبحترى وابن الرومى والمتنبى للطف مأخذهم ودوران الصناعة فى كلامهم ورقة توليد المعانى فى أشعارهم وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة والكتابة وخصوصا المتنبى الذى كأنه ينطق عن ألسنة الناس فى محاوراتهم وكثر الاستشهاد بشعره حتى قل من يجهله وحتى اكتفى بالبيت الواحد فى الدلالة على القصد وبلوغ الغرض فى الجواب كما كتب بعض ملوك العرب الى من كرر كتبه ورسله اليه بقول المتنبى

ولا كتب الا المشرفية عنده * ولا رسل الا الخميس العرمرم

وكذلك النظر فى رسائل المتقدمين دون حفظها لما فى النظر فيها من تنقيح القريحة وارشاد الخاطر وتسهيل الطرق والنسج على منوال المجيد والاقتداء بطريقة المحسن واستجلاء ما أنتجته القرائح من أبكار الافكار واستخلاء ما روقته الخواطر من حياض الالفاظ واستدراك مافات القاصر والاحتراز عما أظهره النقد ورد ما بهرجه السبك فأما النهى عن حفظ ذلك فلئلا يتكل الخاطر عما فى حاصله ويستند الفكر الى ما فى مودعه ويكتفى بما ليس له ويتلبس بما لم يعط كلابس ثوبى زور (لكن ملح كلامهم) التى يتعين الاحتفاظ بها دون حفظها ويعلم المتعرض لهذه الصناعة انه لا سبيل له الى الجمع بين معناها ولفظها ما كتب به عبد الحميد ابن يحيى عند ظهور الخراسانية بشعار السواد * فاثبتوا ريثما تنجلى هذه الغمرة وتصحو هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل * ومن ذلك قول ابراهيم بن العباس الصولى اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه وللمسىء من النكال ما يقمعه بذل المحسن ما يجب عليه رغبة وانقاد المسىء الى ما كلفه رهبة (ومن ذلك قول أبى نصر الضبى) لما سمع القوم باقباله دب الفشل فى تضاعيف أحسابهم وسرى الوهل فى تقاريق أعصابهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت فجيوب الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجروره (ومنه قول الصابى) نزغ به شيطانه وامتدت به فى الغى أشطانه (ومنه قول بديع الزمان) كتابى الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم أكن

لقيته فقد بلغني صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره وهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها قارون فان الاحب الى أن أقصدها قصد موال والرجوع عنها بكمال أحب الي من الرجوع عنها بمال قدمت التعريف وانا أنتظر الجواب الشريف (ومنه قول القاضي الفاضل) ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة ونظائر ذلك في رسائلهم ورسائل غيرهم كثير جدا * فامامن قصده المحاضرة بذلك دون الانشاء فالاحسن به حفظ ذلك وأمثاله وكذلك النظر في كتب الامثال الواردة عن العرب نظما ونثرا كامثال الميداني والفضل بن سلمة الضبي وحمزة الاصبهاني وغيرهم وأمثال المحدثين الواردة في اشعارهم كابي العتاهية وأبي تمام والمتنبي وأمثال المولدين والامثال الموضوعة على ألسن الحيوان للعرب وغيرهم ليستشهد بالمثل في موضعه و يورده في مكانه و يكون من وراء المعرفة باصله وأول من أرسله مثلا ومن استشهد به وذكر سببه كمثل قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى واول من قال ذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه قاله في صبح ليلة قطع فيها باصحابه مفازة كانت في طريقه من العراق الى الشام وقولهم ساء سمعا فاساء اجابة أول من قال ذلك سهيل بن عمرو وكان تزوج صفية بنت أبي جهل فولدت له ابنه أنسا فرآه الاخنس بن شريق الثقفي معه فقال من هذا فقال سهيل ابني فقال الاخنس حياك الله يافتى أين أمك فقال لا والله ما أمي ثم انطلقت الى أم حنظلة تطحن دقيقا فقال أبوه ساء سمعا فاساء اجابة فلما رجعا قال أبوه لامه فضحني ابنك اليوم قال كذا وكذا فقالت انما ابني صبي فقال أشبه امرؤ بعض بزه فارسلها مثلا وكتب الامثال موضوعة لذلك (وأما التمثل بالشعر) فقد روى ان عمر رضي الله عنه تمثل يوما بقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

ثم قال لمن هذا فقيل له للنابغة فقال ذاك أشعر شعرائكم وسأل عمر ابن عباس رضي الله عنهم عن شئ فاجابه عنه فاعجبه جوابه فقال شنشنة أعرفها من أخزم وأمثال ذلك مما تمثل به الصحابة كثير (وأما الموضوع) على ألسن الحيوانات فقد روى أن عليا رضي الله عنه حين رأى خلاف أصحابه وتخاذلهم قال انما أكلت يوم أكل الثور الابيض يعني انما خذلت يوم خذل عثمان وحكاية هذا المثل أنهم قالوا اصطحب أسد وثور احمر وثور أسود وثور أبيض في أجمة فقال الاسد للاحمر وللاسود هذا الابيض يفضحنا بلونه و يطمع فينا من يقصدنا فلو تركتماني آكله أمنا فضيحة لونه فاذناله في ذلك فاكله ثم قال للاحمر هذا الاسود يخالف لوني ولونك ولو بقيت انا وأنت ظن من يراك أسدا مثلي فدعني آكله فسكت عنه فاكله ثم قال للثور الاحمر لم يبق الا أنا وأنت وأريد أن آكلك فقال ان كنت فاعلا ولابد فدعني أصعد تلك الهضبة وأصيح ثلاثة أصوات فقال افعل ما تريد فصعد وصاح ثلاثة أصوات ألا انما أكلت يوم أكل الثور الابيض (وحكى) أن عبد الملك بن مروان حج وقدم المدينة فقال يا أهل المدينة قتل عثمان بين أظهركم فنحن لا نحبكم وأرسلنا لكم مسلم بن عقبة فقتلكم في وقعة الحرة فانتم لا تحبونا

لمثلنا ومثلكم كما قال النابغة

كما لقيت ذات الصفا من حليفها * وكانت تريه المال غبا وظاهره
فلما رأى أن قد تأثل ماله * وأثل موجودا وسد مفاقره
أكب على فأس يحد غرابها * مذكرة بين القواصل باتره
فلما وقاها الله ضربة فاسه * وللشر عين لا تغمض ناظره
فقال تعالى نجعل الله بيننا * على مالنا أو تنجزي لى آخره
فقالت يمين الله أفعل انني * رأيتك مسحورا يمينك فاجره
أبى لى قبر لايزال مقابلي * وضربة فاس فوق رأسي فاقره

وهذه الحكاية مشهورة في الموضوعات على السن الحيوان وهي ان أخوين هبطا بغنمهما واديا يرعيان فيه فخرجت حية من تحت الصفا وفي فمها دينار فالقته اليهما وأقامت كذلك أياما فقال أحدهما لابد لي من قتل هذه الحية وأخذ هذا الكنز فنهاه أخوه فلم يقبل فخرجت فضربها بفاس بيده فشجها وشدت عليه فقتلته فدفنه أخوه مقابلها فلما خرجت قال هل لك ان نتعاهد على المودة وعدم الاذية وتعطيني ذلك الدينار كل يوم فقالت لا قال ولم قالت لانك كلما نظرت الى قبر أخيك لا تصفولي وكلما ذكرت الشجة التي في رأسي لا أصفولك * وأما أمثال المحدثين فحكمها حكم أمثال العرب الشعرية وأما أمثال المولدين فلانه يأتي منها ما يستظرف كقول الارجاني

تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا في الزوايا

وكذلك النظر في الاحكام السلطانية فانه قد يؤمر بامر فيعرف بها كيف يخلص قلمه على حكم الشريعة المطهرة من ولاية القضاء والحسبة وغير ذلك فهذه أمور كلية لابد للمترشح لهذه الصناعة من التصدي للاطلاع عليها والاكباب على مطالعتها والاستكثار منها لينفق من تلك المواد وليسلك في الوصول الى تلك الصناعة بذلك الجواد والا فليعلم انه في واد والكتابة في واد وأما الامور الخاصة التي تزيد معرفتها اقدره و يزين العلم بها نظمه ونثره فانها من المكملات لهذا الفن وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب والطبع السليم والقريحة المطاوعة والفكرة المنقحة والبديهة المجيبة والروية المتصرفة لكن العالم بها متمكن من أزمة المعاني يقول عن علم و يتصرف عن معرفة و ينتقد بحجة و يتخير بدليل و يستحسن ببرهان و يصوغ الكلام بترتيب (فمن ذلك) علم المعاني والبيان والبديع والكتب المؤلفة في اعجاز الكتاب العزيز ككتب الرماني والجرجاني والامام فخر الدين والسكاكي والخفاجي وغيرهم وأنا أشير الآن الى نكت منها تدل على جلالة قدر هذا العلم وعظم الفائدة به وان الاديب والكاتب العاريين منه قاصران عن أدنى رتب الكمال يجيدان ولايدريان كيف يجيدان فلو سئل عن علة معنى استحسنه أو لفظ استحلاه أو تركيب استجاده لم يقدر على الاتيان بدليل على ذلك كما قال بعضهم

يا أبا جعفر أتحكم في الشعر وما فيك آلة الحكام

ان نقد الدينار الا على الصر * فى صعب فكيف نقد الكلام
قد رأينا الذلست تفرق فى الاشعار بين الارواح والاجسام

وحكى الامام عبد القاهر الجرجانى قال ركب الكندى المتفلسف الى أبى العباس وقال له انى أجد فى كلام العرب حشوا فقال له أبو العباس فى أى موضع وجدت ذلك قال وجدت العرب تقول عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ متكررة والمعنى واحد فقال أبو العباس بل المعانى مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه فما أحار المتفلسف جوابا فاذا ذهب مثل هذا على الكندى فما الظن بغيره وان كان من محاسن الكلام مالا يحكم فى امتزاجه بالقلوب غير الذوق السليم كما قال الشاعر

شئ به فتن الورى غير الذى * يدعى الجمال ولست أدرى ماهو

لكن الغالب فى الكلام يعلم سبب تحسينه وتعلل موادتمكينه ويجاب عن العلة فى انحطاطه وارتفاعه ويذكر المعنى فى ارتقائه من حضيض القول الى أيفاعه

(فاقول) ملخصا من ذلك مايشير الى الغرض ان شاء الله تعالى وهو * البلاغة ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة فى غير املال والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد المفرد فانه يقال للقصيدة كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف كقول اعرابى سئل عن ناقته تركتها ترعى الهعخع وكقول امرئ القيس * ذوائبه مستشزرات الى العلى * ومن الغرابة وهى ان تكون الكلمة وحشية كما قال عيسى بن عمرو النحوى وقد سقط عن دابته مالكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جنة افرنقعوا عنى أى اجتمعتم على تنحوا ومن مخالفة القياس كقول الراجز * الحمد لله العلى الاجلل * فان القياس الادغام وأما فصاحة الكلام فهى خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد فالضعف كما فى قول الشاعر

جزى ربه عنى عدى بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فان رجوع الضمير الى المفعول يلزم منه رجوعه الى ماهو متأخر لفظا ورتبة والتنافر كقول القائل * وليس قرب قبر حرب قبر * والتعقيد كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

أراد أن يقول وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه

(فصل) الحقيقة فى اللغة فعيلة بمعنى مفعولة من حق الامر يحقه بمعنى أثبته أو من حققته اذا كنت منه على يقين والمجاز مفعل من جاز الشئ يجوزه اذا تعداه فاذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على أنهم قد جازوا به موضعه الاصلى أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه

أولا لانه ليس بموضع أصلى لهذا اللفظ ولكنه مجازه ومتعداه يقع فيه كالواقف بمكان غيره ثم يتعداه الى مكانه الاصلى (وحدهما فى المفرد) أن كل كلمة أريد بها ما وضعت له فهى حقيقة كالاسد للحيوان المفترس واليد للجارحة ونحو ذلك وان أريد بها غيره لمناسبة بينهما فهى مجاز كالاسد للشجاع واليد للنعمة أو القوة فان النعمة تعطى باليد والقوة تظهر بكمالها فى اليد (وحدهما فى الجملة) أن كل جملة كان الحكم الذى دلت عليه كما هو فى العقل فهى حقيقة كقولنا خلق الله الخلق وكل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل لضرب من التأويل فهى مجاز كما اذا أضيف الفعل الى شئ يضاهى الفاعل كالمفعول به فى قوله تعالى عيشة راضية وماء دافق أو المصدر كقولهم شعر شاعر أو الزمان كقول النعمان بن بشير لمعاوية وليلك عما ناب قومك نائم * أو المكان كقولك طريق سائر أو المسبب كقولهم بنى الامير المدينة أو السبب كقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا (فالمجاز المفرد لغوى) ويسمى مجازا فى المثبت (ومجاز الجملة عقلى) ويسمى مجازا فى الاثبات * اذا عرفت هذا فنقول المجاز قد يكون فى الاثبات وهو أن يضيف الفعل الى غير الفاعل الحقيقى كما ذكرنا وقد يكون فى المثبت وحده كقوله تعالى فأحيينا به الارض بعد موتها جعل خضرة الارض ونضرتها حياة وقد يكون فيهما جميعا كقولك أحيتنى رؤيتك تريد سرتنى فقد جعلت المسرة حياة وأسندتها الى الرؤية وهو مجاز فى الاثبات والمجاز أعم من الاستعارة والتمثيل والكناية فهو جنس لها (واعلم) أنهم تعرضوا فى كون اللفظ مجازا الى اعتبار شيئين الاول أن يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك الثانى أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما ولا توصف الاعلام المنقولة بأنها مجاز اذ ليس نقلها لتعلق نسبة بين المنقول وبين من له العلم واذا تحقق الشرطان سمى مجازا وذلك مثل تسمية النعمة والقوة باليد لما بين اليد وبينهما من التعلق وكما قالوا رعينا الغيث يريدون النبت الذى الغيث سببه وأصابتنا السماء يريدون المطر والمجاز قد يكون بزيادة كقوله تعالى وكفى بالله شهيدا وبنقصان كقوله تعالى واسأل القرية وانما يكون كل منهما مجازا اذا تغير بسببه حكم فأما اذا لم يتغير كقولك زيد منطلق وعمرو بحذف الخبر فلا يكون مجازا اذ لم يتغير حكم ما بقى من الكلام * (القول فى التشبيه) * وهو الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشئ الواحد فى نفسه كالشجاعة فى الاسد والنور فى الشمس وهو ركن من أركان البلاغة لاخراجه الخفى الى الجلى وادنائه البعيد من القريب وهو حكم اضافى لا يوجد الا بين الشيئين بخلاف الاستعارة وليس الحكم أنه اذا صحت الاستعارة حسن التصريح بالتشبيه فان المشابهة اذا قرنت بين الشيئين بالاستعارة قبح التصريح بالتشبيه فلا تقول كانك أوقعتنى فى ظلمة اذا أوقعك فى شبهة ولا فهمت المسألة فكانه انشرح صدرى أو كأن نورا حصل فى قلبى لتمكن هذه الاشياء حتى كانها صارت حقيقة (ثم التشبيه على أربعة أقسام) الاول تشبيه محسوس بمحسوس لاشتراكهما فى المحسوسات الاولى وهى مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس كتشبيه الخد بالورد والوجه بالنهار وأطيط الرحل بأصوات الفراريج والفواكه الحلوة بالسكر والعسل ورائحة بعض الرياحين

بالكافور والمسك واللين الناعم بالخز والخشن بالمسح أو في المحسوسات الثانية وهي الاشكال المستقيمة والمستديرة والمقادير والحركات كتشبيه المستوى المنتصب بالرمح والقد اللطيف بالغصن والشئ المستدير بالكرة والحلقة وعظم الجثة بالجبل والذاهب على الاستقامة بنفوذ السهم أو في الكيفيات الجسمانية كالصلابة والرخاوة أو في الكيفيات النفسانية كالغرائز والاخلاق أو في حالة اضافية كقولك هذه حجة كالشمس والجامع أن كل واحد منهما مزيل للحجاب وكقولك ألفاظه كالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة وكالعسل في الحلاوة والجامع سرعة وصوله الى النفس واهتزازها به وربما كان التشبيه بوجه عقلي كقول فاطمة بنت الخرشب الانمارية حين وصفت بنيها هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها فانه لا يفهم المقصود الا من له ذهن يترفع عن طبقة العامة بخلاف ما سبق ومن الفرق الظاهر بينهما أن جعل الفرع أصلا والاصل فرعا يجيء فيما تقدم مجيئا واسعا كقولهم في النجوم كأنها مصابيح وفي المصابيح كأنها نجوم وان حاولت ذلك في الثاني لم يكد ينقاد انقياد الاول (الثاني) تشبيه المعقول بالمعقول كتشبيه الوجود العارى عن الفوائد بالعدم وتشبيه الفوائد التي تبقى بعد عدم الشئ بالوجود كقول الشاعر

رب حي كميت ليس فيه * أمل يرتجى لنفع وضر
وعظام تحت التراب وفوق الارض منها آثار حمد وشكر

(الثالث) تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة وكقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف (الرابع) تشبيه المحسوس بالمعقول وهو غير جائز لان العلوم مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما فاذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع أصلا والاصل فرعا ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك بالثناء فقال الشمس كالحجة في الظهور والمسك كالثناء في الطيب كان سخيفا من القول فأما ما جاء في الاشعار من تشبيه المحسوس بالمعقول فوجهه أن يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالاصل المحسوس على طريق المبالغة فيصح التشبيه حينئذ وذلك كما قال الشاعر

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق على ما قال صلى الله عليه وسلم أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة تخيل الشاعر أن السنن كأنها من الاجناس التي لها اشراق ونور وان البدع نوع من الانواع التي لها اختصاص بالسواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز له التشبيه وبالجملة فهذا التشبيه لا يتم الا بتخييل ما ليس بمتلون متلونا ثم بتخييل أصلا فيشبه به وهذا هو التأويل في قول أبي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت الاوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد يقال اسودت الدنيا في عينه

جعل يوم النوى كأنه أشهر وأعرف بالسواد من الظلام فعرفه به وشبهه ثم عطف عليه فؤاد من لا يعشق تظرفا لان الظريف يدعي القساوة على من لا يعشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب أصلا عنده في السواد فقس عليه وهكذا الكلام في قول الشاعر

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاة من البأساء بعد وقوع

وفي قول القاضي التنوخي

أما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
فانهض بنار الى فحم كأنهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

وكذلك قول الصاحب ابن عباد حين أهدى للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني عطرا

يا أيها القاضي الذي نفسي له * في قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما أهدى له أخلاقه

والعادة تشبيه الثناء بالعطر وهو عكس الامر على جهة المبالغة كما بينا وكذلك قول جحظة

ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين جحظة والزمان

وقلت في تشبيه حصن

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تمثله في طيها الفكر

لانه لما ارتفع في الجو حتى صار كالوهم فيكون من تشبيه المحسوس بما تخيل أنه محسوس لا ظلامه في العين أو فرض له الخفاء حتى صار يشبه معقول بمعقول وقال أبو اسحق الصابي في بعض رسائله وهو في نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة وما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة * ويقرب من هذا النوع تشبيه الوجود بالتخيل الذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه الجمر بين الرماد ببحر من المسك موجه الذهب وذلك انما يتم اذا فرض المتخيل أمورا كل واحد منها موجود في الاعيان فحينئذ يكون التشبيه حسنا لطيفا كقول الشاعر في النرجس

كأن عيون النرجس الغض بيننا * مداهن در حشوهن عقيق

وكقول الآخر في تشبيه الشقائق

وكان محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد * أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

ويقرب من هذا الجنس قول امرئ القيس

أتقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فانهم لم يشاهدوا أنياب الاغوال بل اعتقدوا انها في غاية الحدة فحسن التشبيه وعليه جاء قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين لتناهي رؤس الشياطين في الكراهة ولاعتقادهم الغاية في قبح الشياطين وكراهيته يشبهون به الوجه القبيح ولاعتقادهم الغاية في خير الملك وانه لا شر فيه يشبهون به الصور الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم واعلم أن ما به المشابهة قد يكون مقيدا بالانتساب الى شئ وذلك اما الى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد كالراقم على الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي وليس له بعير والواو للحال

واما الى المفعول به والجار والمجرور كقولهم هو كمن يجمع السيفين فى غمد وكمبتغى الصيد فى عريسة الاسد ومن ذلك قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فان التشبيه لم يحصل من مجرد الحمل بل لامرين آخرين معه تعديته الى الاسفار واقتران الحمل بما فيها الان الغرض توجيه الذم الى من أتعب نفسه فى حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به لجهله وكقول لبيد

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

فانه لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم بحلولهم الديار وشك رحيلهم منها وكلما كانت المقيدات أكثر كان التشبيه أوغل فى كونه عقليا كقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس فان التشبيه منتزع من مجموع هذه الجمل من غير أن يمكن فصل بعضها من بعض فانك لو حذفت منها جملة واحدة من أى موضع كان أخل ذلك بالمقصود من التشبيه * ثم ما به المشابهة ان كان مركبا فانه على قسمين الاول ما لا يمكن افراد أحد أجزائه بالذكر كقول القاضى التنوخى

كأنما المريخ والمشترى * قدامه فى شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة * قد أسرجت قدامه شمعه

فانك لو اقتصرت على قوله كأنما المريخ منصرف عن دعوة أو كان المشترى شمعة لم يحصل ما قصده الشاعر فانه انما قصد الهيئة التى يكتسبها المريخ من كون المشترى أمامه ولى فى مثل ذلك

كأن سهيلا والنجوم وراءه * صفوف صلاة قام فيها امامها

فانه لا يمكن افراد أجزاء هذا التشبيه اذ لو قلت كأن سهيلا امام وكأن النجوم صفوف صلاة ذهبت فائدة هذا التشبيه الثانى ما يمكن افراده بالذكر ويكون اذا أزيل منه التركيب صحيح التشبيه فى طرفيه الا أن المعنى مغير كقول أبى طالب الرقى

وكأن اجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق

فلو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط أزرق وجدت التشبيه مقبولا ولكن المقصود من الهيئة المشبه بها قد زال وربما كان التشبيه فى أمور كثيرة لا يتقيد بعضها ببعض وانما يكون بعضها مضموما الى بعض وكل واحد منها منفرد بنفسه كقولك زيد كالاسد بأسا والبحر جودا والسيف مضاء والبدر بهاء وكقولك هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر وله خاصتان احداهما أنه لا يجب فيه الترتيب والثانية اذا أسقط البعض لا يتغير حكم الباقى ومنه قول الشاعر

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

ومنه قول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وفيه نظر * وقد ذكر بعض المتأخرين فى التشبيه سبعة أنواع نحن نوردها وان لم تكن كلها منه

الاول التشبيه المطلق وهو أن يشبه شيأ بشئ من غير عكس ولا تبديل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقوله تعالى وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام وقوله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية وقول النبى صلى الله عليه وسلم الناس كاسنان المشط الثانى التشبيه المشروط وهو أن يشبه شيأ بشئ لو كان بصفة كذا أو لولا أنه بصفة كذا كقوله أشبه وجه مولانا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه وكقوله وجه هو الشمس لولا كسوفها والقمر لولا خسوفه وكقول البديع الهمدانى

قد كاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وكقول الآخر

عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن للثاقبات أفول

الثالث تشبيه الكناية وهو أن يشبه شيأ بشئ من غير أداة التشبيه كقول المتنبى

بدت قمرا وماست خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وقول الواوا الدمشقى

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الرابع تشبيه التسوية وهو أن يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة من الصفات المقصودة ويشبههما بشئ واحد كقوله

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى * وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى

وقلت فى هذا التشبيه

أسروا الى ليلى سراهم لها انجلى * وبات كطرفى نجمه وهو حيران
كلانا غريق فى الدموع وفى الدجى * كأن دموع العين والليل طوفان

الخامس التشبيه المعكوس وهو أن يشبه شيئين كل واحد منهما بالآخر كقول بعضهم كم من دم أهرقناه فى البر وشخص أغرقناه فى البحر فأصبح البر بحرا بدمائهم والبحر برا بأشلائهم وكقول الشاعر

الخمر تفاح جرى ذائبا * كذلك التفاح خمر جمد
فاشرب على جامده وذائبه * ولا تبع لذة يوم بغد

وكقول الصاحب بن عباد

رق الزجاج ورقت الخمر * وتشابها وتشاكل الامر
فكأنه خمر ولا قدح * وكأنه قدح ولا خمر

وقول منصور الهروى

الراح مثل الماء فى كاساتها * والماء مثل الراح فى الغدران

السادس تشبيه الاضمار وهو أن يكون مقصوده التشبيه بشئ ويدل ظاهر لفظه على أن مقصوده غيره كقول المتنبى

ومن كنت جار البه ياعلى * فلا يقبل الدر الا كارا

فيدل ظاهره على أن مقصوده الدر وانما غرضه تشبيه الممدوح بالبحر وكقول الشاعر

ان كان وجهك شمعا * فالجسمى يذوب

السابع تشبيه التفضيل وهو أن يشبه شيأ بشئ ثم يرجع فيرجح المشبه على المشبه به كقوله

حسبت جماله بدرا مضيئا * وأين البدر من ذاك الجمال

وكقول ابن هند

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين

أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وذاك ان جاد دامع العين

وقد تقدم تشبيه شئ بشئ فأما تشبيه شئ بشيئين فكقول امرئ القيس

و تعطو برخص غير شثن كانه * أسار يع رمل أو مساويك أسحل

وأما تشبيه شئ بثلاثة أشياء فكقول البحترى

كانما يبسم عن لؤلؤ * منضد او برد أو اقاح

وتشبيه شئ بأربعة أشياء كما قلت

لله طرس عن سطور جادها الفكر السليم بصوب مسك أذفر

فكانما هو روضة أو جدول * أو سمط در أو قلادة عنبر

وأما تشبيه شئ بخمسة فكقول الحريرى

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

وأما تشبيه شيئين بشيئين فكما مر من قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وأما تشبيه ثلاثة بثلاثة فكقول الآخر

ليل وبدر وغصن * شعر ووجه وقد

خمر ودر و ورد * ريق وثغر وخد

وأما تشبيه أربعة بأربعة فكقول امرئ القيس

له أيطلا ظبى وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

وكقول أبى نواس

يبكى فيذرى الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وأما تشبيه خمسة أشياء بخمسة أشياء فكقول أبى الفرج الواوا الدمشقى وقد مر

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وله تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء وهو

كان الدرارى والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التثامها

حباب طفا من حول زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

قال

قال الشيخ بدر الدين الحموى النحوى أنشدنى شيخنا القاضى قاضى القضاة نجم الدين بن البارزى تشبيه سبعة أشياء بسبعة أشياء لنفسه

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لأصاحبه

كشمس ببرق قد بدرا أهلة * كذى هالة فى الافق بين كواكبه

ومن أنواع التشبيه التمثيل وهو الذى يكون تشبيها واحدا مقيدا بقيود و يظن أنها تشبيهات مجموعة كقوله

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رجوها أقشعت وتجلت

فان مجرد قوله أبرقت قوما عطاشا غمامة ليس تشبيها مستقلا بنفسه لان مقصود الشاعر أن يصف ابتداء مطمع أدى الى انتهاء مويس وذلك لا يتم الا بجملة البيت فان تأدية الشئ الى غيره حكم زائد على ذاته

﴿فصل﴾ الغرض من التشبيه قد يكون بيان امكان وجود الشئ عند ادعاء مالا يكون امكانه بينا كقول ابن الرومى

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

وكقول المتنبى

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

أو بيان مقداره كما اذا حاولت نفى الفائدة عن فعل انسان قلت هو كالقابض على الماء لان للخلو عن الفائدة مراتب مختلفة فى الافراط والتفريط فاذا مثل بالمحسوس عرفت مرتبته وذلك لو أردت الاشارة الى تنافى الشيئين فأشرت الى ماء ونار فقلت هذا وذاك هل يجتمعان كان تأثيره زائدا على قولك هل يجتمع الماء والنار وكذلك اذا قلت فى وصف يوم كالطول مايتوهم أولا آخر له أو أنشدت قوله

فى طول ليل تناهى العرض والطول * كانما ليله بالليل موصول

لم تجد فيه من الانس ماتجده فى قوله

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاف المزاهر

وماذاك الا للتشبيه بالمحسوس والا فالاول أبلغ لان طول الرمح متناه وفى الاول حكمت أن ليله موصول بالليل وكذلك لو قلت فى قصر اليوم كانه ساعة وكلمح البصر لوجدته دون قوله

ظللنا عند دار أبى أنيس * بيوم مثل سالفة الذباب

وقوله ويوم كابهام القطاة مزين * الى صباه غالب لى باطله

وقد يكون غرض التشبيه عائدا الى المشبه به وذلك أن يقصد أن يوهم فى الشئ القاصر عن نظيره أنه زائد عليه فشبه الزائد به كقوله

وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح

وهذا أبلغ وأحسن وأمدح من تشبيه الوجه بالصباح لان تشبيه الوجه بالصباح أصل متفق عليه لا ينكر ولا يستنكر وانما الذى يستنكر تشبيه الصباح بالوجه ثم الغرض بالتشبيه ان

كان الحاق الناقص بالزائد امتنع عكسه مع بقاء هذا الغرض وان كان الجمع بين شيئين في مطلق الصورة والشكل أو اللون صح العكس كتشبيه الصبح بغرة الفرس الادهم لا للمبالغة في الضياء بل لوقوع منير في مظلم وحصول بياض قليل في سواد كثير والتشبيه قد يجيء غريبا يحتاج في ادراكه الى دقة نظر كقول ابن المعتز * والشمس كالمرآة في كف الاشل * والجامع الاستدارة والاشراق مع تواصل الحركة التي تراها اذا أمعنت النظر في اضطراب نور الشمس ويقرب منه قول الآخر في طلوع الشمس وظهورها في خلل الاوراق

كأن شعاع الشمس في كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير في كف الاشل يضمها * لقبض وتهوى من فروج الاصابع

وكقول الوزير المهلبي

الشمس من مشرقها قد بدت * مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بودقة أحميت * يجول فيها ذهب ذاهب

ومن لطيف ما جاء في هذا النوع من التشبيه قول الاخطل في صفة المصلوب

كأنه عاشق قد مد صفحته * يوم الوداع الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

شبهه بالمتمطي لان المتمطي يمد يديه وظهره ثم يعود الى حالته الاولى فزاد فيه انه مواصل لذلك وعلله بالقيام من النعاس لما في ذلك من اللوثة والكسل ومن فساد التشبيه أن يجيء منعكسا كقول الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فذكر أن الشيب يبدو في الشباب ثم ترك ما ابتدأ به ووصف الشباب بأنه ليل يصيح فيه نهار والذي تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول كما ينهض نهار في جانبي ليل

(فصل) التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله ألفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه وانما هو توطئة لمن يسلك سبل الاستعارة والتمثيل لانه كالاصل لهما وهما كالفرع له والذي يقع منه في حيز المجاز عند أهل هذا الفن هو الذي يجيء على حد الاستعارة كقولك لمن تردد في الامر بين أن يفعله أو يتركه أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى والاصل أراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى (القول في الاستعارة) هو ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا وتقديرا وان شئت قلت هو جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لاجل المبالغة في التشبيه فالاول كقولك لقيت أسدا تعني الرجل الشجاع والثاني كقول لبيد * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها * أثبت اليد للشمال مبالغة في تشبيهها بالقادر في التصرف فيه وسيأتي تحقيق ذلك ان شاء الله تعالى * وحد الرماني الاستعارة فقال هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل للابانة وقال ابن المعتز هي استعارة الكلمة من شيء قد عرف بها الى شيء لم يعرف بها وذكر الخفاجي كلام الرماني وقال وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل واشتعل

الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم توضع في أصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان يأخذ في الرأس شيئا فشيئا حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيله الى غير حالته المتقدمة فهذا من نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولا بد من أن يكون أوضح من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيها لان الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها لانها الاصل وليس يخفى على المتأمل أن قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا أبلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة هذا المعنى ولا بد للاستعارة من حقيقة هي أصلها وهي مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له وأما قولنا مع طرح ذكر المشبه فاعلم أننا اذا طرحناه كقولنا رأيت أسدا وأردنا الرجل الشجاع فهو استعارة بالاتفاق وان ذكرنا معه المشبه وقلنا زيد أسد فالمختار أنه ليس باستعارة اذ في اللفظ ما يدل على أنه ليس بأسد فلم تحصل المبالغة واذا قلت زيد الاسد فهو أبعد عن الاستعارة فان الاول خرج بالتنكير من أن يحسن فيه كاف التشبيه فان قولك زيد كأسد كلام نازل بخلاف الثاني * قال ضياء الدين بن الاثير وهذا التشبيه المضمر الاداة قد خلطوه بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض وسأوضح وجه الخطأ فيه وأحقق القول في الفرق بينهما فأقول أما التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة لبيان ذكره لانه لا خلاف فيه ولكن نذكر التشبيه المضمر الاداة فنقول اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على أنه تشبيه مضمر الاداة قل فيه زيد أسد أي كالاسد فأداة التشبيه فيه مضمرة مقدرة واذا أظهرت حسن ظهورها ولم يقدح في الكلام الذي أظهرت فيه ولم تزل عنه فصاحته وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور أداة التشبيه واذا ظهرت زال عن ذلك الكلام ما كان متصفا به من الحسن والفصاحة ولنضرب لذلك مثالا نوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وهذا لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيه ولا يقال عجل قد كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص فالفرق اذا بين التشبيه المضمر الاداة وبين الاستعارة أن التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها والاستعارة أخص من المجاز اذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز وأيضا فكل استعارة من البديع وليس كل مجاز منه والحق أن المعنى يعار أولا ثم بواسطته يعار اللفظ ولا تحسن الاستعارة الا حيث كان التشبيه مقررا بينهما ظاهرا والا فلا بد من التصريح بالتشبيه فلو قلت رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمنا اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل النخلة أو مثل الخامة لكنت كالملغز التارك لما يفهم وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا بحيث يكون ألطف من التصريح بالتشبيه فانك لو رمت أن تظهر التشبيه في قول ابن المعتز

أثمرت أغصان راحته * لجناة الحسن عنابا

احتجت أن تقول أثمرت أصابع راحته التي هي كالاغصان لطالب الحسن شبه العناب من

أطرافها المخضوبة وهذا انما للاخفاء بغثاثته وربما جمع بين عدة استعارات الحاقا للشكل بالشكل لاتمام التشبيه فتزيد الاستعارة به حسنا كقول امرئ القيس فى صفة الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

﴿فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله﴾ الاعلام لا يدخلها الاستعارة لما تقدم فى المجاز وأما الفعل فالاستعارة تقع أولا فى المصدر ثم تقع بواسطة ذلك فى الفعل فاذا قلت نطقت الحال بكذا فهذا انما يصح لانك وجدت الحال مشابهة للنطق فى الدلالة على الشئ فلاجرم استعرت النطق لتلك الحالة ثم نقلته الى الفعل والاسماء المشتقة فى ذلك كالفعل فظهر أن الاستعارة انما تقع وقوعا أوليا فى أسماء الاجناس ثم الفعل اذا كان مستعارا فاستعارته اما من جهة فاعله كقوله نطقت الحال بكذا واعبث به الهموم وقول جرير

يخشى الرواسم ربعها فتجده * بعد البلى وتميته الامطار

وقول أبى حية

وليلة مرضت من كل ناحية * فما يضىء لها شمس ولا قمر

أو من جهة مفعوله كقول ابن المعتز

جمع الحق لنا فى امام * قتل الجور وأحيا السماحا

أو من جهة مفعوليه كقول الحريرى

وأقرى المسامع اما نطقت * بيانا يقود الحرون الشموسا

أو من جهة أحد مفعوليه كقول الشاعر

نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زراد

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة وتجريدها أما ترشيحها فهو أن تنظر فيها الى المستعار وتراعى جانبه وتوليه ما تستدعيه وتضم اليه ما تقتضيه كقول كثير

رمتنى بسهم ريشه الهدب لم يضر * ظواهر جسمى وهو فى القلب جارح

وكقول النابغة

وصدر أزاح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

المستعار فى كل واحد منهما وهو الرمى والازاحة منظور اليهما فى لفظى السهم والعازب وكما أنشد صاحب الكشاف

تنازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لى الشطر التى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم نظر الى المستعار فى لفظة الاعتجار وأما تجريدها فهو أن يكون المستعار له منظورا اليه كقوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فان الاذاقة لما وقعت عبارة عما يدرك من أثر الضرر والالم تشبيها له بما يدرك من طعم المر البشع واللباس عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قال فأذاقها ما غشيها من ألم الجوع والخوف وكقول زهير

لدى

لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

فلو نظر الى المستعار لقال لدى أسد دامى المخالب أو دامى البراثن مثلا ونظر زهير فى آخر البيت الى المستعار أيضا ومنه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء ويقرب من ذلك الاستعارة بالكناية وهو أن لا يصرح بذكر المستعار بل يذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه كقولهم شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وكقول أبى ذؤيب

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

تنبيها على أن الشجاع أسد والعالم بحر والمنية سبع وهذا وان كان يشبه الاستعارة المجردة الا أنه أغرب وأعجب ويقرب منه قول زهير

ومن يعص أطراف الزجاج فانه * يطيع العوالى ركبت كل لهذم

أراد أن يقول من لم يرض بأحكام الصلح رضى بأحكام الحرب اى أشرعوا الاسنة وأخروا الرماح وقد يسمى هذا النوع المماثلة أيضا وقد ينزلون الاستعارة منزلة الحقيقة وذلك أنهم يستعيرون الوصف المحسوس للشئ المعقول ويجعلون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشئ فى الحقيقة وان الاستعارة لم توجد أصلا مثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره فى الفضل والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول أبى تمام

ويصعد حتى يظن الحسود * بأن له حاجة فى السماء

وكقوله أيضا

مكارم لجت فى علو كأنما * تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

وكذلك يستعيرون اسم شئ لشئ من نحو شمس أو بدر أو أسد ويبلغون الى حيث يعتقد أنه ليس هناك استعارة كقول ابن العميد

قامت تظللنى من الشمس * نفس أعز على من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب * شمس تظللنى من الشمس

وكقول آخر

أيا شمعا يضىء بلا انطفاء * ويا بدرا يلوح بلا محاق

فأنت البدر ما معنى انتقاصى * وأنت الشمع ما معنى احتراقى

فلولا أنه أنسى نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجىء على عكسه كقول الشاعر

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

وهذا أيضا يتم بالحكم الجزم بكونه قمرا يكون من شأنه أن يبلى الكتان

﴿فصل فى أقسام الاستعارة وهى على نوعين﴾ الاول أن يعتمد نفس التشبيه وهو أن

يشترك شيآن فى وصف وأحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم الزائد مبالغة فى تحقيق ذلك الوصف له كقولك رأيت أسدا وأنت تعنى رجلا شجاعا وعنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة والثانى أن تعتمد لوازمه عندما يكون جهة الاشتراك وصفا وانما ثبت كماله فى المستعار منه بواسطة شئ آخر فتثبت ذلك الشئ للمستعار له مبالغة فى اثبات المشترك كقول لبيد

وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وليس هنا للمستعار له يمكن أن تجرى اسم اليد عليه كما جرى الاسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه أن الشمال فى تصريف الغداة على حكم مطية الانسان المتصرف فيها بزمامها ومقادها بيده لان تصرف الانسان انما يكون باليد فى أكثر الامر فاليد كالآلة التى تكمل بها القوة على التصرف ولما كان الغرض اثبات التصرف وذلك مما لا يكمل الا عند ثبوت اليد أثبت اليد للشمال تحقيقا للغرض وحكم الزمام فى استعارته للغداة حكم اليد فى استعارتها للشمال وكذلك قول تأبط شرا

اذا هزه فى عظم قرن تهللت * نواجذ أفواه المنايا الضواحك

لما شبه المنايا عند هزة السيف بالسرور وكمال الفرح والسرور انما يظهر بالضحك الذى يتهلل به النواجذ أثبته تحقيقا للوصف المقصود والا فليس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجذ وهكذا الكلام فى قول الحماسى

سقاه الردى سيف اذا سل أومضت * اليه ثنايا الموت من كل مرقب

ومن هذا الباب قولهم فلان مرخى العنان وملقى الزمام والفرق بين القسمين انك اذا رجعت فى الاول الى التشبيه الذى هو المقصد من كل استعارة مفيدة وجدته يأتيك عفوا كقولك رأيت رجلا كالاسد أو مثله أو شبهه وان رمته فى الثانى لا يؤاتيك تلك المؤاتاة اذ لا وجه أن تقول شئ مثل اليد للشمال وانما تهيأ لك التشبيه بعد أن تخرق اليه سترا أو تعمل تأملا وفكرا وفى اغفال هذا الاصل وقوع فى التشبيه وذلك أن من وضع فى نفسه أن كل اسم يستعار فلا بد أن يكون هناك شئ يمكن الاشارة اليه تتناوله فى حالة المجاز كما تتناول مسماه فى حالة الحقيقة ثم نظر الى قوله تعالى ولتصنع على عينى وقوله تجرى بأعيننا ارتبك فى الشك وحام حول الظاهر ووقع فى التشبيه الذى هو الضلال البعيد ففى معرفة هذا الخلاص من ذلك التشبيه ويسمى هذا النوع استعارة تخييلية وهو كاثبات الجناح للذل فى قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اذا عرف هذا فالنوع الاول على أربعة أقسام الاول أن يستعار المحسوس للمحسوس وذلك اما بأن يشتركا فى الذات ويختلفا فى الصفات كاستعارة الطيران لغير ذى جناح فى السرعة فان الطيران والعدو يشتركان فى الحقيقة وهى الحركة المكانية الا أن الطيران أسرع أو بأن يختلفا فى الذات ويشتركا فى صفة اما محسوسة كقولهم رأيت شمسا ويريدون انسانا يتهلل وجهه وكقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فالمستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع الانبساط ولكنه فى النار أقوى واما غير محسوسة كقوله تعالى اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم المستعار له الريح والمستعار منه المرأة والجامع المنع من ظهور النتيجة الثانى ان يستعار شئ

معقول لشئ معقول لاشتراكهما فى وصف عدمى أو ثبوتى وأحدهما أكمل من ذلك الوصف فينزل الناقص منزلة الكامل كاستعارة اسم العدم للوجود اذا اشتركا فى عدم الفائدة أو استعارة اسم الوجود للعدم اذا بقيت آثاره المطلوبة منه كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما فى عدم الادراك والعقل وكقولهم فلان لقى الموت اذا لقى الشدائد لاشتراكهما فى المكروهية وقوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب والسكوت والزوال أمران معقولان الثالث أن يستعار المحسوس للمعقول كاستعارة النور الذى هو محسوس للحجة واستعارة القسطاس للعدل وكقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فالقذف والدمغ مستعاران وقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر استعارة كناية عما أوحى اليه كظهور ما فى الزجاجة عند انصداعها وكل خوض فى القرآن العزيز فهو مستعار من الخوض فى الماء وكل ما فيه من الظلمات والنور فهو مستعار وقوله تعالى ويبغونها عوجا العوج مستعار وقوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون الوادى والهيمان مستعاران وقوله تعالى قالتا أتينا طائعين جعل لهما قولا وطاعة الرابع أن يستعار اسم المعقول للمحسوس على التأويل المذكور فى التشبيه كقوله تعالى اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ فالشهيق والغيظ مستعاران وقوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها

﴿فصل فى جيد الاستعارة ومتوسطها ورديئها من حيث الجملة﴾ قال أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجى وقد اختار أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى من جملة الاستعارة قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

وقال ان هذه الاستعارة فى غاية الحسن لانه انما قصد وصف أحوال الليل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف أعجازه وأواخره شيأ فشيأ وقال الخفاجى وهذا الذى ذكره أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى ولو كنت أسكن الى تقليد أحد من علماء هذه الصناعة لقلدته لحسن نظره وصحة فكره وهو عندى من الوسط ليس من جيد الاستعارة ولا من رديئها وانما قلت ذلك لان أبا القاسم قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل لليل وسطا وعجزا استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده وجعل الكلكل من أجل نهوضه وكل هذا انما يحسن بعضه لاجل بعض فذكر الصلب انما حسن لاجل العجز والتمطى لاجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه الاستعارة المبنية على غيرها فلذلك لم أر أن تجعل من أبلغ الاستعارات وكانت استعارة طفيل الغنوى فى قوله

وجعلت رحلى فوق ناجية * يقتات شحم سنامها الرحل

أوفق وأوضح لانها غنية بنفسها غير مفتقرة الى مقدمة حليتها وكذلك قول ذى الرمة

أقامت به حتى نما العود فى الثرى * وكف الثريا فى ثلاثة الفجر

وقال وقد كنت مثلت فى بعض مواضع الاستعارة المحمودة والمذمومة ببيتين أحدهما قول ابن نباتة

حتى اذا بهر الاباطح والثرى * نظرت اليك بأعين النوار

فنظر أعين النوار من أشبه الاستعارات وأليقها لان النوار يشبه العيون اذا كان مقابلا لمن يمر به كأنه ناظر اليه والبيت الثانى بيت أبى تمام

قرت بقران عين الدين واستترت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

وقرة عين الدين واستتار عيون الشرك من أقبح الاستعارات لعدم الشبه الذى لأجله جعل للشرك والدين عيونا ومع تأمل هذين البيتين يفهم معنى الاستعارة لان النوار والشرك لاعيون لهما على الحقيقة وقد قبحت استعارة العيون لاحدهما وحسنت للآخر والعلة فيه أن النوار يشبه العيون والدين والشرك ليس فيهما مايشبههما ولا يقاربها ومن أحسن الاستعارة وأليقها قول الشريف الرضى

رسا النسيم بواديكم ولا برحت * حوامل المزن فى أجداثكم تضع

ولا يزال جنين النبت يرضعه * على قبوركم العراصة الهمع

لان المزن تحمل الماء واذا هملت تضعه فاستعارة الحمل لها والوضع المعرفين من أقرب شئ وأشبهه وكذلك جنين النبت لان الجنين المستور مأخوذ من الجنة واذا كان النبت مستورا والغيث يسقيه كان ذلك بمنزلة الرضاع ومما استقبحه قدامة من الاستعارة قول أوس بن حجر

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جذعا

فسمى الصبى تولبا والتولب ولد الحمار ومثل قول الآخر

ومارقد الولدان حتى رأيته * على البكر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الانسان حافرا وأمثال المحاسن فى ذلك والمساوى كثيرة وقد أخذ القول فى هذا الباب حقه مع أن أقوال العلماء بهذا الفن فيه أكثر من ذلك

﴿القول فى الكناية﴾

اللفظة اذا أطلقت وكان الغرض الاصلى غير معناها فلا يخلوا اما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالا على ذلك الغرض الاصلى واما أن لا يكون كذلك فالاول هو الكناية ويقال له الارداف أيضا والثانى المجاز فالكناية عند علماء البيان أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجىء الى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيومى به اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم هو طويل النجاد وكثير رماد القدر يعنون به أنه طويل القامة كثير القرى فلم يذكروا المراد بلفظه الخاص به ولكن توصلوا اليه بذكر معنى آخر هو رديفه فى الوجود ألا ترى أن القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر رماد القدر ومن ذلك قول الله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم كنى بنفى قبول التوبة عن الموت على الكفر لانه يردفه وقول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

أراد أن يذكر طول جيدها فاتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط وكقول امرئ القيس

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

قال فيه دلالة على تنعمها وأن لها من يخدمها ولا تشد نطاقها للخدمة وكقول ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

كنت عن الجود بخرق القميص بجذب العفاة له عند ازدحامهم لاخذ العطاء وكقول الحضرمى

قد كان يعجب بعضهن براعتى * حتى رأين تنحنحى وسعالى

كنى عن كبر السن بتوابعه وهى التنحنح والسعال والكناية تكون فى المثبت كماذكرنا وقد تكون فى الاثبات وهى ما اذا حاولوا اثبات معنى من المعانى لشئ فيتركون التصريح باثباته له ويثبتونه لماله به تعلق كقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه وقوله

ان المروءة والسماحة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

ونظيره قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو فى حبس الحجاج

أصبح فى قيدك السماحة والمجد وفضل الصلاح والحسب

وقال الجرجانى مكان القيد ههنا هو مكان القبة فى البيت المتقدم ومثله فى النفى قول الشاعر يصف امرأة بالعفة

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها * اذا مابيوت بالملامة حلت

وقد يجتمع فى البيت الواحد كنايتان الغرض منهما واحدة وكل واحدة منهما أصل بنفسها كقوله

ومايك فى من عيب فانى * جبان الكلب مهزول الفصيل

واعلم أن الكناية ليست من المجاز لانك تعتبر فى ألفاظ الكناية معانيها الاصلية وتفيد بمعانيها معنى ثانيا هو المقصود فتريد بقولك كثير الرماد حقيقته وتجعل ذلك دليلا على كونه جوادا فالكناية ذكر الرديف وارادة المردوف وأما التعريض فهو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر كقولك ما أقبح البخل لمن تعرض له بأنه بخيل وكقول الحماسى

أنا ابن زبانة ان تلقنى * لا تلقنى فى النعم العازب

يعرض بأنه راع وكقول محمد بن عبد الله بن الحسن لم نعرف فى أمهات الاولاد يعرض بالمنصور وأنه ابن أمة وأما التمثيل فانما يكون من باب المجاز اذا جاء على حد الاستعارة مثاله قولك للمتحير فلان يقدم رجلا ويؤخر أخرى فلو قلت انه فى تحيركمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز وكذلك قولك لمن أخذ فى عمل لا يتحصل منه مقصود أراك تنفخ فى غير ضرم وتخط على الماء ومازال يفتل فى الذروة والغارب لمن بلغ مراده برفق كالرجل يجىء الى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه حتى يأنس به والفرق بين الاستعارة والتمثيل ان الاستعارة تجىء فى المفرد والجمل والتمثيل لا يجىء الا فى الجمل خاصة

﴿فصل﴾ قال الامام عبد القاهر الجرجانى اعلم ان من شأن هذه الاجناس أن تتفاوت التفاوت الشديد ألا ترى انك تجد فى الاستعارة العامى المبتذل كقولك رأيت أسدا ووردت بحرا ولقيت بدرا والخاصى النادر الذى لا تجده الا فى كلام الفحول ولا يقوى عليه الا أفراد الرجال كقوله

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

أراد أنها سارت سيرا حثيثا فى غاية السرعة وكانت سرعة فى لين وسلاسة حتى كانها كانت سيولا وقعت فى تلك الاباطح فجرت بها ومثل هذه الاستعارة فى الحسن واللطف وعلو الطبقة

فى هذه اللفظة بعينها قول الآخر

سالت عليه شعاب الحىّ حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع فى الحى وأنهم يسرعون نصرته وأنه لا يدعوهم لحرب ولا نازل خطب الا أتوه فكثروا عليه وازدحموا اليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من ههنا وههنا و تنصب من هذا المسيل وذاك حتى يغيض بها الوادى و يطفح منها * ومن بديع الاستعارة ونادرها قول يزيد بن مسلمة يصف فرسه وانه مؤدب وانه اذا نزل عنه وألقى عنانه على قربوس سرجه وقف مكانه الى أن يعود اليه

عوّدته مما أزور حبائبى * اهماله وكذاك كل مخاطر

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

فالغرابة ههنا فى الشبه نفسه وفى الاستدلال على أن هيئة العنان فى موقعه من قربوس السرج كالهيئة فى موقع الثوب من ركبة المحتبى قال ومن سرّ هذا الباب أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت فى مواضع ثم ترى لها فى بعض ذلك ملاحة لا تجدها فى الباقى مثاله انك تنظر الى لفظة الجسر فى قول أبى تمام

لا يطمع المرء أن يجتاب لجته * بالقول ما لم يكن جسرا له العمل

وقوله تؤمل الراحة الكبرى فلم ترها * تنال الا على جسر من التعب

فترى لها فى الثانى حسنا لا تراه فى الاول ثم تنظر اليها فى قول ربيعة الرقى

قولى نعم ونعم ان قلت راضية * قالت عسى وعسى جسر الى نعم

انتهى كلامه وكذلك الحكم فى الكناية وغيرها وأجمعوا على أن للكناية مزية على التصريح لانك اذا أثبت كثرة القرى باثبات شاهدها ودليلها فهو كالدعوى التى معها شاهد ودليل فذلك أبلغ من اثباتها بنفسها فأما التمثيل الذى يقع من أقسام المجاز فحكمه حكم الاستعارة لانك اذا قلت للمتحير فى أمره أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فأوجبت الصورة التى يقطع معها بالتحير والتردد كان أبلغ فى الظاهر من أن تقول أراك مترددا فى أمرك فأنت كمن يقول أخرج أولا أخرج فيقدم رجلا و يؤخر أخرى ومما يكشف هذا أن العقلاء اتفقوا على أن التشبيه اذا جاء فى أعقاب المعانى أفادها جمالا وزادها كمالا وان أردت أن ترى له شاهدا فانظر الى قول البحترى

دان على أيدى العفاة وشاسع * عن كل ندّ فى الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العلو وضوءه * للعصبة السارين جدّ قريب

والى قول السرى الرفا

أصبحت أظهر شكرا من صنائعه * وأضمر الودّ فيه أىّ اضمار

كشامخ النخل يبدى للعيون ضحى * طلعا نضيدا ويخفى غض جمار

فانك تجد فى البيت الآخر منهما ما لم تجده فى الاول وتجد الفرق بين ما لو اقتصرت على قولك فلان يكدّ نفسه فى قراءة الكتب و يتحمل فى تعلمها التعب ولا يفهم شيأ و بين أن تتلو بعده قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية وكذلك يفصل بين أن يقول أرى قوما لهم منظر وليس لهم هناك مخبر و بين أن يتبعه قول ابن لنكك

فى شجر السرو منهم مثل * له رواء وما له ثمر

وسببه أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى الى جلى وأن تأتيها بصريح بعد مكنى وان تردها فيما تعلمه الى ما تكون هى بشأنه أعلم ولهذا كان التمثيل بالمشاهد أبلغ على ما تقدم وهذه أمور تقل حاجتها الى التعريف و يستغنى فى الوقوف عليها عن التوقيف

﴿القول فى الخبر ونبذ من أحكامه﴾

الخبر هو القول المقتضى تصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفى أو الاثبات وتسمية أحد جزأيه بالخبر مجاز ثم المقصود من الخبر ان كان هو الاثبات المطلق فيكون بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وان لم يتم ذلك الا باشعار زمانه فيكون بالفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض فان المقصود لا يتم بكونه معطيا للرزق بل بكونه معطيا للرزق فى كل حين وأوان والاخبار بالفعل أخص من الاخبار بالاسم فاذا أمعنت النظر وجدت الاسم موضوعا على أن تثبت به المعنى للشىء من غير اشعار بتجدده شيأ فشيأ بل جعل الانطلاق أو الوصيد مثلا صفة له ثابتة ثبوت الطول والقصر فى قولك زيد طويل أو قصير بخلاف ما اذا أخبرت بالفعل فانه يشعر بالتجدد وانه يقع جزأ فجزأ واذا أردت شاهدا على ذلك فتأمل هذا البيت

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * الا يمرّ عليها وهو منطلق

فجاء بالاسم ولو أتى بالفعل لم يحسن هذا الحسن والفعل المتعدى الى جميع مفعولاته خبر واحد حتى اذا قلت ضرب زيد عمرا يوم الجمعة خلف المسجد ضربا شديدا تأديبا له كان الخبر شيأ واحدا وهو اسناد الضرب المقيد بهذه القيود الى زيد فظهر من ذلك أن قولك جاءنى رجل مغاير لما دل عليه قولك جاءنى رجل ظريف وانك لست فى ذلك الا كمن يضم معنى الى معنى وحكم المبتدا والخبر أيضا كذلك فقول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

خبر واحد واذا قلت الرجل خير من المرأة فاللام فيه قد تكون للعموم أو الخصوص بأن ترجع الى معهود أو لتعريف الحقيقة مع قطع النظر عن عمومها وخصوصها فاذا قلت زيد منطلق أفاد اثبات الانطلاق له فحسب واذا قلت زيد المنطلق أو زيد هو المنطلق أفاد انحصار المخبر به فى المخبر عنه فان أمكن الحصر ترك على حقيقته والا فعلى المبالغة واذا قلت المنطلق زيد فهو اخبار عما عرفت بما لم يعرف فكان المخاطب عرف ان انسانا انطلق ولم يعرف صاحبه فقلت الذى تعتقد أنه منطلق زيد وأما الذى فهو للاشارة الى منفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة كقولك ذهب الرجل الذى أبوه منطلق وهو تحقيق قولهم انه يستعمل لوصف المعارف بالجمل والتصديق والتكذيب متوجهان الى خبر المبتدا الا الى صفته فاذا كذبت القائل فى قوله زيد ابن عمرو كريم فالتكذيب لم يتوجه الى كونه ابن عمرو بل الى كونه كريما

﴿فصل فى التقديم والتأخير﴾ اذا قدم الشىء على غيره فاما أن يكون فى نية التأخير كما اذا قدم الخبر على المبتدا واما أن يكون فى نية التأخير ولكن انتقل الشىء من حكم الى آخر كما اذا جئت الى اسمين جاز أن يكون كل واحد منهما مبتدأ فجعلت أحدهما مبتدأ كقولك زيد

المنطلق والمنطلق زيد قال الجرجاني قال صاحب الكتاب كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم مثاله أن الناس اذا تعلق غرضهم بقتل خارجي مفسد ولا يعلمون من صدر القتل منه وأراد مريد الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول قتل الخارجي زيد ولا يقول قتل زيد الخارجي لانه يعلم أن قتل الخارجي هو الذي يعنيهم وان كان قد وقع قتل من رجل يبعد في اعتقاد الناس وقوع القتل من مثله قدم المخبر ذكر الفاعل فيقول قتل زيد رجلا لاعتقاد الناس في المذكور خلاف ذلك انتهى كلام الجرجاني ولنذكر منه ثلاثة مواضع يعرف بها مالم يذكر (الاول الاستفهام) فاذا أدخلته على الفعل وقلت أضربت زيدا كان الشك في وجود الفعل محققا والشك في تعيين الفاعل وهكذا حكم النكرة فاذا قلت أجاءك رجل كان المقصود هل وجد المجيء من رجل فاذا قلت أرجل جاءك كان ذلك سؤالا عن جنس من جاء بعد الحكم بوجود المجيء من انسان وقس عليه الخبر في قولك ضربت زيدا او زيدا ضربت وجاءني رجل تميمي ورجل تميمي جاءني ثم الاستفهام قد يجيء للانكار فان كان في الكلام فعل ماض وأدخلت الاستفهام عليه كان لانكاره كقوله تعالى أصطفى البنات على البنين وان أدخلته على الاسم فان لم يكن الفعل مرددا بينه وبين غيره كان لانكاره انه الفاعل ويلزم منه نفي ذلك الفعل كقوله تعالى آلله أذن لكم أي لو كان اذن لكان من الله فلما لم يوجد منه دل على أن لا اذن كما تقول متى كان هذا في ليل أو نهار أي لو وجد كان في ليل أو نهار فلما لم يوجد في واحد منهما لم يوجد أصلا وعليه قوله تعالى آلذكرين حرم أم الانثيين وان كان مرددا بينه وبين غيره كان اما للتقرير والتوبيخ وعليه قوله تعالى حكاية عن قوم نمروذ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم واما لانكار انه الفاعل مع تحقيق الفعل كقولك لمن انتحل شعرا أأنت قلت هذا وان كان الفعل مضارعا فان أدخلت حرف الاستفهام عليه كان اما لانكار وجوده كقوله تعالى أنلزمكموها وأنتم لها كارهون أو لانكار أنه يقدر على الفعل كقول امرئ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

أو لازالة طمع من طمع في أمر لا يكون فيجهله في طمعه كقولك أيرضى عنك فلان وأنت على ما يكره أو لتعنيف من يضيع الحق كما قال الشاعر

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للئيم

أو لتقديم الفاعل كما تقول لمن يركب الخطر أتركب في هذا الوقت وان أدخلته على الاسم فهو لانكار صدور الفعل من ذلك الفاعل اما للاستحقار كقولك أأنت تمنعني أو للتعظيم كقولك أهو يسأل الناس أو للمبالغة اما في كرمه كقولك أهو يمنع سائله واما في خساسته كقولك أهو يسمح بمثل هذا وقد يكون لبيان استحالة فعل لظن ممكنا كقوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي وكذلك اذا أدخلته على المفعول كقوله تعالى أغير الله أتخذ وليا وأغير الله تدعون وأبشرا منا واحدا نتبعه لانهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع ويطاع (الثاني في التقديم والتأخير في النفي) اذا أدخلت النفي على الفعل فقلت ما ضربت زيدا فقد

نفيت عن نفسك ضربا واقعا بزيد وهذا لا يقتضي كون زيد مضروبا واذا أدخلته على الاسم فقلت ما أنا ضربت زيدا اقتضى من باب دليل الخطاب كون زيد مضروبا وعليه قول المتنبي

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

ولهذا يصح أن يقول ما ضربت الا زيدا وما ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس ولا يصح أن يقول ما أنا ضربت الا زيدا وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس أما الاول فلأن نقض النفي بالا يقتضي أن يكون ضربته وتقديمك ضميرك وايلاءه حرف النفي يقتضي أن يكون ضربته غيرك فيتدافعان وفيه نظر وأما الثاني فلأن أول الكلام يقتضي أن يكون زيد مضروبا وآخره يقتضي أن لا يكون مضروبا فيتناقضان اذا عرف هذا من جانب الفاعل فانه مثله في جانب المفعول فاذا قلت ما ضربت زيدا لم يقتض أن يكون ضاربا لغيره واذا قلت ما زيدا ضربت اقتضى ذلك ولهذا صح ما ضربت زيدا ولا أحدا من الناس ولا يصح ما زيدا ضربت ولا أحدا من الناس وحكم الجار والمجرور حكم المفعول فاذا قلت ما أمرتك بهذا لم يقتض أن يكون قد أمرته بشيء غير هذا واذا قلت ما بهذا أمرتك اقتضاه واذا قدمت صيغة العموم على السلب وقلت كل ذلك لم أفعله برفع كل كان نفيا عاما وينافضه الاثبات الخاص فلو فعلت بعضه كنت كاذبا وان قدمت السلب وقلت لم أفعل كل ذلك كان نفيا للعموم ولا ينافي الاثبات الخاص فلو فعلت بعضه لم تكن كاذبا ومن هذا ظهر الفرق بين رفع كل ونصبه في قول أبي النجم

قد أصبحت أم الخيار تدعي * علي ذنبا كله لم أصنع

فان رفعته كان النفي عاما واستقام غرض الشاعر في تبرئة نفسه من جملة الذنوب وان نصبته كان النفي نفيا للعموم وهو لا ينافي اتيانه ببعض الذنب ولا يتم غرضه * الثالث في التقديم والتأخير في الخبر المثبت ما تقدم في الاستفهام والنفي قائم ههنا فاذا قدمت الاسم وقلت زيد فعل وأنا فعلت فالقصد أن الفاعل اما لتخصيص ذلك الفعل به كقولك أنا شفعت في شأنه مدعيا الانفراد بذلك أو لتأكيد اثبات الفعل له لا للحصر كقولك هو يعطي الجزيل ليتمكن في نفس السامع ان ذلك دأبه دون نفيه عن غيره ومنه قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون فانه ليس المراد تخصيص المخلوقية بهم وقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وكقول درنا بنت عبعبة

هما يلبسان المجد أحسن لبسة * شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

وقول الآخر

هم يفرشون اللبد كل طمرة * وأجرد سباح يبذ المغاليا

والسبب في هذا التأكيد أنك اذا قلت مثلا زيد فقد أشعرت بأنك تريد الحديث عنه فيحصل للسامع تشوف الى معرفته فاذا ذكرته قبلته النفس قبول العاشق معشوقه فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشك والشبهة ولهذا تقول لمن تعده أنا أعطيك أنا أكفيك أنا أقوم بهذا الامر وذلك اذا كان من شأن من سبق له وعد أن يعترضه الشك في وفائه ولذلك يقال في المدح أنت تعطي الجزيل أنت تجود حين لا يجود أحد ومن ههنا تعرف الفخامة في الجمل التي فيها ضمير الشأن والقصة كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وكقوله

تعالى انه لا يفلح الكافرون وأن فيها ما ليس فى قولك فان الابصار لا تعمى وان الكافرين لا يفلحون وهذا الكلام فى الخبر المنفى فاذا قلت أنت لا تحسن هذا كان أبلغ من أن تقول لا تحسن هذا فالاول لمن هو أشد اعجابا بنفسه وأكثر دعوى بأنه يحسن (واعلم) أنه قد يكون تقديم الاسم كاللازم وهو كمثل فى نحو قوله

يا عاذلى دعنى من عذلكا * مثلى لا يقبل من مثلكا

وقول المتنبى مثلك يثنى الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

وقول الناس مثلك يرعى الحق والحرمة وكقول الذى قال له الحجاج لأحملنك على الادهم يريد القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه الانسان سوى الذى أضيف اليه وجىء به للمبالغة والمعنى أن من كان مثله فى الحال والصفة كان من مقتضى القياس أن يفعل ما ذكر فكيف به وقد عبر المتنبى عن هذا المعنى فقال

ولم أقل مثلك أعنى به * سواك يا فردا بلا مشبه

وكذلك حكم غير اذا سلك فيه هذا المسلك كقول المتنبى

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

أى لست ممن ينخدع ويغتر ولو لم يقدم مثلا وغيرا فى هذه الصور لم يرد هذا المعنى ويقرب من هذا تقديم بعض المفعولات على بعض فى نحو قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم شركاء على الجن أفاد أنه ما ينبغى أن يكون لله شركاء لا من الجن ولا من غيره لان شركاء مفعول ثان لجعلوا ولله متعلق به والجن مفعوله الاول فقد جعل الانكار على جعل الشريك لله على الاطلاق من غير اختصاص بشئ دون شئ لان الصفة اذا ذكرت مجردة عن مجراها على شئ كان الذى تعلق بها من النفى عاما فى كل ما يجوز أن يكون له تلك الصفة فاذا قلت ما فى الدار كريم كنت قد نفيت الكينونة فى الدار عن كل شئ يكون الكريم صفة له وحكم الانكار أبدا حكم النفى فأما اذا أخرت شركاء فقلت وجعلوا الجن شركاء لله فيكون جعل الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل أن يكون المقصود بالانكار جعل الجن شركاء لا جعل غيرهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقدم شركاء نفيا لهذا الاحتمال

(فصل فى مواضع التقديم والتأخير) أما التقديم فيحسن فى مواضع الاول أن تكون الحاجة الى ذكره أشد كقولك قطع اللص الامير الثانى أن يكون ذلك أليق بما قبله من الكلام أو بما بعده كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فانه أشكل بما بعده وهو قوله ان الله سريع الحساب وبما قبله وهو مقرنين فى الاصفاد الثالث أن يكون أعرف أو أشد تعلقا بما بعده كقولك زيد قام وقام زيد وزيد الطويل الرابع أن يكون من الحروف التى لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفى فان الاستفهام طلب فهم الشئ وهو حالة اضافية فلا تستقل بالمفهومية فيشتد اتصاله بما بعده الخامس تقديم الكلى على جزئياته فان الشئ كلما كان أكثر عموما كان أعرف فان الوجود لما كان أعم الامور كان أعرفها عند العقل السادس تقديم الدليل على المدلول وأما التأخير فيحسن فى مواضع الاول تمام الاسم كالصلة

والمضاف اليه الثانى توابع الاسماء الثالث الفاعل الرابع المضمر وهو ان كان متأخرا لفظا وتقديرا كقولك ضرب زيد غلامه أو مؤخرا فى اللفظ مقدما فى المعنى كقوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه أو بالعكس كقولك ضرب غلامه زيد جاز وان تقدم لفظا ومعنى لم يجز كقولك ضرب غلامه زيدا الخامس ما يفضى الى اللبس كقولك ضرب موسى عيسى أو أكرم هذا هذا فيجب فيه تقديم الفاعل السادس العامل الذى يضعف عمله كالصفة المشبهة والتمييز وما عمل فيه حرف أو معنى كقولك هو حسن وجها وكريم أبا وتصبب عرقا وخمسة وعشرون درهما وان زيدا قائم وفى الدار سعد جالسا ولا يجوز الفصل بين العامل والمعمول بما ليس منه فلا تقول كانت زيدا الحمى تأخذ اذا رفعت الحمى بكانت للفصل بين العامل وما عمل فيه فان أضمرت الحمى فى كانت صحت المسألة

(القول فى الفصل والوصل)

وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والهدى الى كيفية ايقاع حروف العطف فى مواقعها وهو من أعظم أركان البلاغة حتى أن بعضهم حد البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل وقال عبد القاهر انه لا يكمل لاحراز الفضيلة فيه أحد الا كمل لسائر معانى البلاغة اعلم أن فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد الا هذا القدر وهو الواو ومنها ما يفيد فائدة زائدة كالفاء وثم وأو وغرضنا هنا متعلق بما لا يفيد الا الاشتراك فنقول العطف اما أن يكون فى المفردات كقولك مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح فقد أشركت بينهما فى الاعراب والمعنى لاشتراكهما فى كون كل واحد منهما مقيدا للموصوف ولا يتصور أن يكون اشتراك بين شيئين حتى يكون هنالك معنى يقع ذلك الاشتراك فيه وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين بحيث اذا عرف السامع حاله الاول عناه يعرف حاله الثانى يدلك على ذلك انك اذا عطفت على الاول شيأ ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره لم يستقم فلو قلت خرجت اليوم من دارى وأحسن الذى يقول بيت كذا قلت ما يضحك منه ومن ههنا عابوا أبا تمام فى قوله

لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وان أبا الحسين كريم

وان لم يكن فى قوة المفرد فهو على قسمين الاول أن يكون معنى احدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الاخرى كما اذا كانت كالتوكيد لها أو كالصفة فلا يجوز ادخال العاطف عليه لان التوكيد والصفة متعلقان بالمؤكد والموصوف لذاتيهما والتعلق الذاتى يغنى عن لفظ يدل على التعلق فمثال التوكيد قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فلا ريب فيه توكيد لقوله ذلك الكتاب كأنه قال هو ذلك الكتاب وكذلك قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم تأكيد ثان أبلغ من الاول وكذلك قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله ولم يقل ويخادعون لان المخادعة ليست شيأ غير قولهم آمنا مع أنهم غير مؤمنين وكذلك قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن لان معنى قولهم انا معكم انا لم نؤمن

وقوله انما نحن مستهزؤن متضمن له وكذلك قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا ولم يقل وكأن لان المقصود من التشبيه بمن فى أذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع الا أن الثانى أبلغ لان حال من لا يصح السمع منه أبلغ فى عدم الانتفاع بالكلام من حال من يصح عليه ذلك وأما قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فهذا يحتمل أن يكون تأكيدا لقوله ما هذا بشرا من حيث ان المترفع عن البشرية من المخلوقات ليس الا الملك ولان الناس اذا شاهدوا فى الانسان من الخلق الحسن والخلق الجميل ما تعجبوا عنده قالوا ما هذا ببشر وكان غرضهم أن يقولوا انه ملك فلما كان ذلك مفهوما قبل التصريح به كان التصريح به تأكيدا ويحتمل أن يكون صفة له فان اخراجه عن جنس البشرية يتضمن لا محالة دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملكية على الخصوص فان القسمة غير منحصرة فى القسمين وجعله ملكا تعيين لذلك الجنس وتمييزله عن غيره * ومما جاء فيه الاثبات بان والا على هذا الحد قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فالاثبات فى الآيتين جميعا تأكيد لنفى ما نفى القسم الثانى أن يكون بين الجملتين تعلق ذاتى فان لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضا لان العطف للتشريك ولا تشريك ومن ههنا عابوا على أبى تمام قوله فى البيت المتقدم

لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم

اذ لا مناسبة بين مرارة الهوى و بين كرم أبى الحسين ولذلك لم يحسن جواز العاطف وان كان بينهما مناسبة فاما أن يكون بالذى أخبر بهما أو بالذى أخبر عنهما أو بهما كليهما وهذا الاخير هو المعتبر فى العطف ومعنى المناسبة أن يكونا متشابهين كقولك زيد كاتب وعمرو أو متضادين تضادا على الخصوص كقولك زيد طويل وعمرو قصير وكقولك العلم حسن والجهل قبيح فلو قلت زيد طويل والخليفة قصير اختل معنى عند ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة ولو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل لفظا اذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر وان كان المحدث عنه فى الجملتين شيأ واحدا كقولك فلان يقول و يفعل و يضر و ينفع و يأمر و ينهى و يسيء و يحسن يجب ادخال العاطف فان الغرض جعله فاعلا للامرين فلو قلت يقول يفعل بلا عاطف لتوهم أن الثانى رجوع عن الاول واذا أفاد العاطف الاجتماع ازداد الاشتراك كقولك العجب من انك أحسنت وأسأت والعجب من أنك تنهى عن شئ وتأتى مثله وكقوله

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا

فان المعنى جعل الفعلين فى حكم واحد أى لا تطمعوا أن تروا اكرامنا ايا كم يوجد مع اهانتكم ايانا واعلم أنه قد يجب اسقاط العاطف فى بعض المواضع لاختلال المعنى عند اثباته كقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون فقوله ألا انهم هم المفسدون كلام مستأنف وهو اخبار من الله تعالى فلو أتى بالواو لكان اخبارا عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى وكذلك قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء وكذلك قوله تعالى واذا

خلوا

خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم فهو اخبار عن الله تعالى وهو فى الحقيقة جواب سؤال مقدر لانه تعالى لما أخبر عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت شوق السامعين الى العلم بمصير أمرهم فكانه قيل لهم ماذا يفعل الله بهم فقال الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون قال عبد القاهر واذا استقريت وجدت هذا الذى ذكرت لك من تنزيلهم الكلام اذا جاء بعقب ما يقتضى سؤالا منزلته اذا صرح بذلك السؤال كثيرا فمن لطيف ذلك قوله

زعم العواذل أننى فى غمرة * صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى

لما حكى عن العواذل قولهم انه فى غمرة وكان ذلك مما يحرك السامع على أن يسأله فيما جوابك عن ذلك أخرج الكلام مخرجه اذا كان قد قيل فقال أقول صدقوا أنا كما قالوا ولكن لا مطمع لهم فى فلاحى ولو قال وصدقوا لكان لم يضع نفسه فى أنه مسئول وأمثال ذلك كثيرة واذا كان كذلك فلا حاجة الى العاطف بخلاف قوله يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله فان كل واحد من الجملتين خبر عن الله تعالى (ومما يجب) ذكره ههنا الجملة اذا وقعت حالا فانها تجيء مع الواو تارة وبدونها أخرى فنقول الجملة اذا وقعت حالا فلا بد أن تكون خبرية تحتمل الصدق والكذب وهو على قسمين (الاول) وله أحوال الاولى أن يجمع لها بين الواو وضمير صاحب الحال كقولك جاء زيد ومعه غلامه ولقيت زيدا وفرسه سابقه وهذه الواو تسمى واو الحال الثانية أن تجيء بالضمير من غير واو كقولك كلمته فوه الى فى وهو فى معنى مشافها والرابط الضمير قال الشاعر

فلولا جنان الليل ما آب عامر * الى جعفر سرباله لم يمزق

فلو قلت كلمته الى فى فوه ولقيته عليه جبة وشى لم يكن من باب وقوع الجملة حالا لانه يمكننا أن نوقع فوه وجبته بالجار والمجرور فيرجع الكلام الى وقوع المفرد حالا والتقدير كلمته كائنا الى فى فوه ولقيته مستقرة عليه جبة وشى وعليه قول بشار

اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها * غدوت مع البازى على سواد

الثالثة أن تجيء بالواو من غير ضمير وهو كثير كقولك لقيتك والجيش قادم وزرتنا والشتاء خارج قال امرؤ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

ويجوز أن يجمع بين حالين مفرد وجملة اذا أجزنا وقوع حالين كقولك لقيتك راكبا والحسن قادم فالجملة حال من التاء أو من الكاف والعامل فيها لقيت أو من ضمير راكبا وراكب هو العامل فيها (القسم الثانى) الجملة الفعلية ولا بد أن تكون ماضيا أو مضارعا أما الماضى فلا بد معه من الاتيان بالواو وقد أو بأحدهما كقولك تكلمت وقد عجلت وجاء زيد قد ضرب عمرا وجئت وأسرعت فى المجيء قال الله تعالى قال أنؤمن لك واتبعك الارذلون ولم يجز البصريون خلوه عنهما وقالوا فى قوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم وفى قول أبى صخر الهذلى

وانى لتعرونى لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ان قد مقدرة فيهما فان الشئ اذا عرف موضعه جاز حذفه وأما المضارع فان كان موجبا فلا يؤتى

معه بالواو تقول جاءني زيد يضحك وجاء عمرو يسرع وجلس يحدثنا بالرفع أي محدثا لنا لانه بتجرده عما يغير معناه أشبه اسم الفاعل اذا وقع حالا وان كان منفيا جاز حذف الواو مراعاة لاصل الفعل الذي هو الايجاب وجاز اثباتها لان الفعل ليس هو الحال فان معنى قولك جلس زيد ولم يتكلم جلس زيد غير متكلم فجرى مجرى الجملة الاسمية فالحذف كقولك جاء زيد ما يفوه ببنت شفة قال الله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قوله لا يمسنا في موضع نصب على الحال من ضمير المرفوع في أحلنا والاثبات كقولك جلس زيد ولم يتكلم قال تعالى أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومن كلام لبيد لابنته فقد رأيتني وما أعي بجواب شاعر وشبهوا به الفعل الماضي فقالوا جاء زيد ما ضرب عمرا وجاء زيد وما ضرب عمرا

(القول في الحذف والاضمار)

اعلم أن الافعال المتعدية التي يترك ذكر مفعولاتها على قسمين الاول أن لا يكون له مفعول معين فقد يترك مفعوله لفظا وتقديرا ويجعل حاله كحال غير المتعدي كقولهم فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ويضر وينفع والمقصود اثبات المعنى في نفسه للشيء من غير تعرض لحديث المفعول فكأنك قلت بحيث يكون منه حل وعقد وأمر ونهي وضر ونفع وعليه قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي هل يستوي من له علم ومن لا علم له من غير أن ينص على معلوم وكذلك قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى الى قوله وأنه هو أغنى وأقنى وبالجملة فمتى كان الغرض بيان حال الفاعل فقط فلا تعد الفعل فان تعديته تنقص الغرض ألا ترى أنك اذا قلت فلان يعطي الدنانير كان المقصود بيان جنس ما تناوله الاعطاء لا بيان حال كونه معطيا الثاني أن يكون له مفعول معلوم الا انه يحذف من اللفظ لاغراض الاول أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك الفعل دأبه لا بيان المفعول كقول طفيل

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقي الذي لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجؤا * الى حجرات أدفأت وأظلت

والاصل أن يقول لملتنا وألجؤنا وأدفأتنا وأظلتنا فحذف المفعول المعين من هذه المواضع الاربعة وكأنه قد أبهم ولم يقصد قصد شيء يقع عليه كما تقول قد مل فلان تريد قد دخل عليه الملال من غير أن تخص شيأ بل لا تزيد على أن تجعل الملال من صفته فكذلك الشاعر جعل هذه الاوصاف من ذاتهم ولو أضاف الى مفعول معين لبطل هذا الغرض وعليه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين الى قوله فسقى لهما فقد حذف المفعول في أربعة مواضع فان ذكره ربما يخل بالمقصود فلو قال مثلا يذودان غنمهما لتوهم أن الانكار انما كان من ذودهما الغنم لا من مطلق الذود كقولك مالك تمنع أخاك فان الانكار من منع الاخ لا من مطلق المنع الثاني أن يكون المقصود ذكره الا أنك لا تذكره ايهاما الا أنك لا تقصد ذكره كقول البحتري

شجو حساده وغيظ عداه * أن يرى مبصر ويسمع واع

المعنى أن يرى مبصر محاسنه وأن يسمع واع أخباره ولكنه تغافل عن ذلك ايذانا بان فضائله يكفي فيها أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضائل فليس لحساده وعداه أشجى من علمهم بأن ههنا مبصرا وسامعا الثالث أن يحذف لكونه بينا كقولهم أصغيت اليك أي أذني وأغضيت عليك أي جفني

(فصل في حذف المبتدا والخبر) قد يحسن حذف المبتدا حيث يكون الغرض أنه قد بلغ في استحقاق الوصف بما جعل وصفا له الى حيث يعلم بالضرورة أن ذلك الوصف ليس الا له سواء كان في نفسه كذلك أو بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة فذكره يبطل هذا الغرض ولهذا قال عبد القاهر ما من اسم يحذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها الا وحذفه أحسن من ذكره فمن حذف المبتدا قوله تعالى سورة أنزلناها وفرضناها أي هذه سورة وقول الشاعر

لا يبعد الله التلبب والغارات اذ قال الخميس نعم * أي هذه نعم قال عبد القاهر ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدا القطع والاستئناف أنهم يبدؤن بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الاول فيستأنفون كلاما آخر واذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الامر بخبر من غير مبتدا أمثال ذلك

وعلمت اني يوم ذاك منازل كعبا ونهدا * قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا

وقول الحطيئة

هم حلوا من الشرف المعلى * ومن حسب العشيرة حيث شاؤا
أساة مكارم وأساة كلم * دماؤهم من الكلب الشفاء

وقول الحماسي

واني على ما بي عميد فأشتكي * الى ماله حالي أسر كما جهر
غلام رماه الله بالخير مقبلا * له سيمياء ما تشق على البصر

وأمثلته كثيرة ومن حذف الخبر قوله تعالى لولا أنتم لكنا مؤمنين أي لولا أنتم مضلونا وقول عمر رضي الله عنه لولا علي لهلك عمر أي لولا علي حاضر أو مفت ومما يحتمل الامرين قوله تعالى طاعة وقول معروف وقوله تعالى فصبر جميل

(فصل) الاضمار على شريطة التفسير كقولك أكرمني وأكرمت عبد الله أي أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله ومما يشبه ذلك مفعول المشيئة اذا جاءت بعد لو فان كان مفعولها أمرا عظيما أو غريبا فالاولى ذكره كقوله

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فان بكاء الانسان دما عجيب وان لم يكن كذلك فالاولى حذفه كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى والتقدير ولو شاء الله ان يجمعهم على الهدى لجمعهم وكذلك قوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ومن يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم واعلم أنه قد تترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة كقول البحتري

قد طلبنا فلم نجد لك في السودد والمجد والمكارم مثلا

المعنى قد طلبنا لك مثلا ثم حذف لان هذا المدح انما يتم بنفي المثل فلو قال قد طلبنا لك مثلا في

السود دوالجد فلم تجده لكان قد أوقع نفي الوجود على ضمير المثل فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا أوقعه على صريح المثل فان الكناية لا تبلغ مبلغ الصريح ولهذا الوقات وبالحق أنزلناه وبه نزل وقل هو الله أحد وهو الصمد لم تجد من الفخامة ما تجده في قوله تعالى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وقل هو الله أحد الله الصمد وعلى ذلك قول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شئ * نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

(القول في مباحث ان وانما)

أما ان فلها فوائد الاولى انها تربط الجملة الثانية بالاولى وبسببها يحصل التأليف بينهما حتى كأن الكلام من أفرغا افراغا واحدا ولو أسقطتها كان الثاني نائبا عن الاول كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وقوله تعالى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يتكرر في كلام واحد كقوله تعالى وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم ثم متى أسقطت ان من الجملة التي أدخلتها عليها فان كانت الجملة الثالثة انما تذكر لاظهار فائدة ما قبلها كما في الآيات المذكورة احتجت الى الفاء والا فلا كما في قوله تعالى ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين في مقام أمين فلو قلت فالمتقون لم يكن كلاما وكذلك قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة فقوله ان الله يفصل بينهم في موضع خبر ان فدخول الفاء يوجب عطف الخبر على المبتدا وهو غير جائز الثانية انك ترى لضمير الشان والقصة في الجملة الشرطية مع ان من الحسن واللطف ما لا تراه اذا هي لم تدخل عليها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وقوله انه لا يفلح الظالمون الثالثة انها تهيئ النكرة وتصلحها لان يحدث عنها كقوله

ان شبوا وذروة * وحبب البلازل الامون

فلولا هي لم يكن كلاما وان كانت النكرة موصوفة جاز حذفها ولكن دخولها أصلح كقول حسان

ان دهرا يلف شملي بجمل * لزمان يهم بالاحسان

الرابعة انها تغني عن الخبر كما اذا قيل لك الناس ألب عليكم فهل لكم أحد فقلت ان زيدا وان عمرا أي لنا قال الاعشى

ان محلا وان مرتحلا * وان في السفر اذ مضوا مهلا

الخامسة قال المبرد اذا قلت عبد الله قائم فهو اخبار عن قيامه فاذا قلت ان عبد الله قائم فهو جواب عن سؤال سائل فاذا قلت ان عبد الله لقائم فهو جواب عن انكار منكر لقيامه سواء كان المنكر هو السائل أو الحاضرين والدليل على أن ان انما تذكر لجواب السائل انهم ألزموها الجملة من المبتدا والخبر نحو والله ان زيدا المنطلق فالحاجة انما تدعو الى ان اذا كان

للسامع ظن بخلاف ذلك وكذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمر متعد كقول أبي نواس

عليك باليأس من الناس * ان غنى نفسك في اليأس

ومن لطيف مواقعها أن يدعي على المخاطب ظن لم يظنه ولكن صدر منه فعل يقتضي ذلك الظن فيقال له حالك يقتضي أن تكون قد ظننت ذلك كقول الشاعر

جاء شقيق عارضا رمحه * ان بني عمك فيهم رماح

أي مجيئك هكذا مدلا بنفسك مجيء من يعتقد أنه ليس مع أحد رمح غيره وقد يجيء اذا وجد أمر كان المتكلم يظن أنه لا يوجد كقولك للشئ الذي يراه المخاطب ويسمعه انه كان من الامر ما ترى انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وعليه قوله تعالى حكاية عن أم مريم قالت رب اني وضعتها أنثى وحكاية عن نوح قال رب ان قومي كذبون (وأما انما) فتارة تجيء للحصر بمعنى ان هذا الحكم لا يوجد في غير المذكور وهو بمنزلة ليس الا كقوله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها وتارة تجيء لبيان أن هذا الامر ظاهر عند كل أحد سواء كان كذلك أو في زعم المتكلم ومنه قول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله * تجلت من وجهه الظلماء

مدعيا أن ذلك مما لا ينكره أحد من الناس واعلم أنه يستعمل للتخصيص ثلاث عبارات الاولى انما جاءني زيد الثانية جاءني زيد لا عمرو والفرق ان من الاولى يفهم ايجاب الفعل من زيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة ومن الثانية دفعتين ثم انهما كليهما قد يستعملان لاثبات التخصيص لا لنفي التشريك كما اذا عرف أنه جاء انسان فظن أنه عمرو فقلت جاءني زيد لا عمرو واذا قلت انما جاءني زيد فغرضك تخصيص المجيء بزيد لا نفي التشريك وفيه نظر الثالثة ما جاءني الا زيد وهي بأصل الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لا يصح ما زيد الا قائم لا قاعد لانك بقولك الا قائم نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود فاذا قلت بعده لا قاعد كان تكرارا لان لفظة لا موضوعة لان ينفى بها ما أوجب الاول لا لان يفاد بها نفي ما نفي أولا ويصح انما زيد قاعد لا قائم لان صيغة انما بأصل وضعها تدل على تخصيص الحكم بالمذكور لا نفي الشركة فهو لازم من لوازمها فليس له من القوة ما يدل عليه بوضعه ولهذا يصح زيد هو الجائي لا عمرو فبينت ان دلالة الاوليين على التخصيص أقوى ودلالة الثالثة على نفي التشريك أقوى لان الثالثة قد تقام مقام الاوليين في افادة التخصيص كما اذا ادعى واحد أنك قلت قولا ثم قلت بخلافه فقلت له ما قلت الآن الا ما قلته قبل وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ما قلت لهم الا ما أمرتني به ليس المعنى اني لم أزد على ما أمرتني به شيأ ولكن المعنى اني لم أدع مما أمرتني به شيأ وحكم غير حكم الا فاذا قلت ما جاءني غير زيد احتمل أن يكون المراد نفي أن يكون جاء معه انسان آخر وأن يكون المراد تخصيص الحكم بالمذكور لا نفيه عما عداه

(فصل) اذا دخل ما والا على الجملة المشتملة على المنصوب كان المقصود بالذكر ما اتصل بالا متأخرا عنه فاذا قلت ما ضرب عمرا الا زيد فالمقصود المرفوع واذا قلت ما ضرب زيد الا عمرا

فالمقصود المنصوب واذا قلت ماضرب الا زيد عمرا فالاختصاص بالضارب واذا قلت ماضرب الا زيدا عمرو فالاختصاص بالمضروب واذا قلت لم أكس الا زيدا جبة فالمعنى تخصيص كسوة الجبة بين الناس بزيد وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد المفعولين جارا ومجرورا كقول السيد الحميري

لو خير المنبر فرسانه * ما اختار الا منكم فارسا

وكذلك حكم المبتدا والخبر والفعل والفاعل كقولك ما زيد الا قائم وما قام الا زيد وأما انما فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر فاذا قلت انما ضرب زيد عمرو فالاختصاص فى الضارب وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فالغرض بيان المرفوع وهو أن الخاشين هم العلماء ولو قدم المرفوع لصار المقصود بيان المخشى منه فالاول أتم ومنه قول الفرزدق

انا الرائد الحامى الذمار وانما * يدافع عن أحسابكم أنا أو مثلى

فان غرضه أن يحصر المدافع بأنه هو لا المدافع عنه ولو قال انما أنا أدافع عن أحسابكم توجه التخصيص الى المدافع عنه اذا أدخلت عليهما انما فان قدمت الخبر فالاختصاص للمبتدا وان لم تقدمه فللخبر فاذا قلت انما هذا لك فالاختصاص فى لك بدليل أنك تقول بعده لا لغيرك وان قلت انما لك هذا فالاختصاص فى هذا بدليل أنك تقول بعده لا ذاك وعليه قوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك فالاختصاص فى الآية الاولى للبلاغ والحساب وفى الثانية فى الخبر الذى هو على الذين دون المبتدا الذى هو السبيل واذا وقع الفعل فالمعنى ان ذلك الفعل لا يصح الا من المذكور كقوله تعالى انما يتذكر أولو الالباب ثم قد يجتمع معه حرف النفى اماما متأخرا كقولك انما يجىء زيد لا عمرو وقال الله تعالى انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر وقال لبيد

واذا جوزيت قرضا فاجزه * انما يجزى الفتى ليس الجمل

واما مقدما عليه كقولك ما جاءنى زيد وانما جاءنى عمرو فههنا لو لم تقل انما وقلت ما جاءنى زيد وجاءنى عمرو لكان الكلام مع من ظن أنهما جاآ جميعا واذا أدخلتها كان الكلام مع من غلط فى الجائى أنه زيد لا عمرو واعلم أن أقوى ما يكون انما اذا كان لا يراد بالكلام الذى بعدها نفس معناه ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه فانا نعلم انه ليس الغرض من قوله تعالى انما يتذكر أولو الالباب أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن المراد ذم الكفار ويقال انهم من فرط العناد فى حكم من ليس بذى عقل وقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب والتقدير ان من لم تكن له هذه الخشية فهو كمن لم يكن له أذن يسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا انذار وهذا الغرض لا يحصل بدون انما لان من اثباتها تضمين الكلام معنى النفى بعد الاثبات فاذا أسقطت لم يبق الا اثبات الحكم للمذكورين فلا يدل على نفى غيرهم الا أن يذكر فى معرض مدح الانسان بالتيقظ والكرم وأمثالهما كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم (تنبيه) كاد تقرب الفعل من الوقوع فنفيها ينفى القرب فان لم يكن فى الكلام دليل على الوقوع فتفيد نفى الوقوع ونفى القرب منه كقوله تعالى لم يكد يراها أى لم يرها ولم يقارب رؤيتها وكقول ذى الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

المعنى ان مفارقة حبها لم يقارب السكون فضلا عن ان يكون

﴿القول فى النظم﴾

وهو عبارة عن توخى معانى النحو فيما بين الكلام وذلك ان تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو بان تنظر فى كل باب الى قوانينه والفروق التى بين معانى اختلاف صيغه وتضع الحروف مواضعها وتراعى شرائط التقديم والتأخير ومواضع الفصل والوصل ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها وتعتبر الاصابة فى طريق التشبيه والتمثيل وقد أطبق العلماء على تعظيم شأن النظم وان لا فضل مع عدمه ولو بلغ الكلام فى غرابة معناه الى ما بلغ وان سبب فساده ترك العمل بقرائن النحو واستعمال شئ فى غير موضعه ثم الجمل الكثيرة اذا انتظمت نظما واحدا فهى على قسمين الاول ان لا يتعلق البعض بالبعض فلا يحتاج واضعه الى فكر وروية فى استخراجه بل هو كمن عمد الى اللآلئ ينظمها فى سلك ومثاله قول الجاحظ جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبينك وبين الصدق سببا وكقول النابغة للنعمان يفاخر ابن أبى جفنة والله لقفاك خير من وجهه ولشمالك خير من يمينه ولأخمصك خير من رأسه ولخطؤك خير من صوابه ولخدمك خير من قومه * وقال بعض البلغاء فى وصف اللسان أداة تظهر حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبئك عن غائب وحاكم يفصل به الخطاب وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يحصد الضغينة وهذا النظم لا يستحق الفضل الا بسلامة معناه وسلاسة ألفاظه اذ ليس فيه معنى دقيق لا يدرك الا بثاقب الفكر وربما ظن بالكلام انه من هذا الجنس ولا يكون منه كقول الشاعر

سالت عليه شعاب الحى حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

فان الحسن فيه ليس لمجرد الاستعارة بل لما فى الكلام من التقديم والتأخير ولهذا لو أزلت ذلك وقلت سالت شعاب الحى بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره فانه يذهب الحسن والحلاوة الثانى ان تكون الجمل المذكورة يتعلق بعضها ببعض وهناك تظهر قوة الطبع وجودة القريحة واستقامة الذهن ثم ليس لهذا الباب قانون يحفظ فانما يجىء على وجوه شتى (الجها) للايجاز وهو التعبير عن الغرض باقل ما يمكن من الحروف وهو على ضربين أحدهما ايجاز قصر وهو تقليل اللفظ وتكثير المعنى كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر وكقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وكقوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها فان الغرض فيها المبالغة فى وصف الله تعالى نفسه بالقدرة عليهم مع حسن وضعه وقلة ألفاظه وقوله تعالى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس وقوله عز من قائل ولكم فى القصاص حياة ونكر الحياة فى الآية ايذانا بان شرعية القصاص رادعة عن الاقدام على القتل غالبا الا دائما كما قال فيه شفاء للناس حيث لم يكن يعم الجميع ولانه لو عرف لاقتضى ان تكون الحياة من أصلها بالقصاص وليس كذلك الثانى ايجاز حذف وهو الاستغناء

بالمذكور عما لم يذكر كقوله تعالى ولكن البر من اتقى تقديره ولكن البر بر من اتقى وقوله تعالى فانها من تقوى القلوب التقدير فانها من أفعال ذوى تقوى القلوب وقوله واسئل القرية وقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى المعنى لكان هذا القرآن وهو جواب لو فحذف وهذا الباب كثير فى كتاب الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وانما يحسن اذا دل عليه الدليل كما قررناه (ومنها) التأكيد وهو تقوية المعنى وتقريره اما باظهار البرهان كقول قابوس

يا ذا الذى بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر

أما ترى البحر يعلو فوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر

وفى السماء نجوم غير ذى عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

أو بالعزيمة كقوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق وقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم وكقول الاشتر النخعى

وسلبت وفرى وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافى بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

وقول أبى نواس أما والذى جعل المستهام * صديق السهاد عدو الكرى

لقد ذهبت مهجتى باطلا * لئن دمت منك على ما أرى

وقوله لا فرج الله عنى ان مددت يدى * اليه أسأله من حبلك الفرجا

وقول أبى تمام أتظننى أجد السبيل الى العزا * وجد الحمام اذن الى سبيلا

وقوله حرمت مناى منك ان كان ذا الذى * تقوله الواشون حقا كما قالوا

أو بالتكرار كقولهم الله الله والاسد الاسد وكقول الخادرية

ألا طعنة وما تودعنا هند * وهند أتى من دونها النأى والبعد

وهذا فى التنزيل كثير والعلم فيه سورة الرحمن

(القول فى التجنيس)

التجنيس يتشعب شعبا كثيرة فمنه المستوفى التام وهو أن يجىء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظا مختلفتين معنى لا تفاوت فى تركيبهما ولا اختلاف فى حركاتهما كقول المعرى

لم يبق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

وقول عبد الله بن طاهر وانى للثغر المخوف لكالئ * وللثغر يجرى ظله لرشوف

قال الجامى وهو أفضل تجنيس وقع لمحدث وقول أبى نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغا * والفضل فضل والربيع ربيع

ومنه قول الجاحظ يعاتب صديقا له يعاتب فى حرف و يعيد المودة على حرف وكقولهم زائر السلطان الجائر كزائر الليث الزائر وكقول البستى

سما وحمى بنى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

وقول النامى لشؤون عينى فى البكاء شؤون * وجفون عينك للبلاء جفون

وقلت فى مثل ذلك والمراد البيت الثانى

يا نسمة أذكرتنى طيب عهدهم * ما كان ضرك لو أذكرت اذ انا

أيقظت جفنى وما هم الرقاد به * فأيقظى فى الدجى أجفان أجفانا

وذكر التبريزى التجنيس المستوفى كقول أبى تمام

ما مات من كرم الزمان فانه * يحيى لدى يحيى بن عبد الله

وقال وانما عد من هذا الباب لاختلاف المعنيين لان أحدهما فعل والآخر اسم ومثله قول المعرى لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا * ونحن فى حفر الاجداث أحيانا

(ومنه المختلف) و يسمى التجنيس الناقص وهو مثل الاول فى اتفاق حروف الكلمتين الا أنه يخالفه اما فى هيئة الحركة كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وقول معاذ رضى الله عنه الدين يهدم الدين وكقولهم جبة البرد جنة البرد والمقصود البرد والبرد كقولهم الصديق والصدوق أول العقد وواسط العقد وكقول المعرى

لغيرى زكاة من جمال فان يكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومنه قول أبى تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

أو بالحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك أو بالتخفيف والتشديد كقولهم الجاهل اما مفرط أو مفرط (ومنه المذيل) و يقال له التجنيس الزائد والناقص أيضا وهو أن يجىء بكلمتين متجانستى اللفظ متفقتى الحركات غير أنهما مختلفتان بحرف اما من آخرهما كقولك فلان حام حامل لاعباء الامور كاف كافل بمصالح الجمهور وقولهم أنا من زمانى فى زمانه ومن اخوانى فى خيانه وقولهم فلان سال من أحزانه سالم من زمانه ومن النظم قول ابى تمام يمدون من ايد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

وقول البحترى

لئن صدفت عنا فربت أنفس * صواد الى تلك النفوس الصوادف

واما من أولهما كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق ومن النظم ما أنشد عبد القاهر

وكم سبقت منه الى عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره ولطائف * لشكرى على تلك اللطائف طائف

(ومنه المركب) وهو على ضربين الاول ما هو متشابه لفظا وخطا كقولهم همتك الهمة الفاترة وفى صميم قلبك الفاترة ومن النظم قول البستى

اذا ملك لم يكن ذا هبه * فدعه فدولته ذاهبه

وقول آخر عضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنابه

وقول طاهر البصرى

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعانى أمت بما أودعانى

وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه

طار قلبي يوم ساروا فرقا * وسواء فاض دمعي أورقا

حار في سقمي من بعدهم * كل من في الحي داوى أورقا

بعدهم لا طل وادي المنحنى * وكذا بان الحمى لا أورقا

والثاني ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى التجنيس المفروق كقولك كنت أطمع في تجريبك ومطايا الجهل تجري بك ومن النظم قوله

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها

فاذا عرضت القول غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

وقول المطوعي

أخو كرم يفضي الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود

وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود في مجالس جود

لكن ههنا اختلاف بحركة وقلت في هذا النوع

ولم أر مثل بشر الروض لما * تلاقينا وبنت العامري

جرى دمعي وأومض برق فيها * فقال الروض في ذا العام ربي

(ومن أنواع المركب المرفو) وهو أن يجمع بين كلمتين احداهما أقصر من الاخرى فتضم الى القصيرة حرفا من حروف المعاني أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركنا التجنيس كقولهم يا مغرور أمسك وقس يومك بأمسك ويقرب منه قول البديع الهمداني ان لم يكن لنا حظ في درك درك تخلصنا من شرك شرك وقول الحريري ان أخليت منا مبارك مباركك تخلصنا من معارك معاركك ومن النظم قول البستي

فهمت كتابك يا سيدي * فهمت ولا عجب أن أهيما

وكقول الآخر تفرق قلبي في هواه فعنده * فريق وعندي شعبة وفريق

اذا طمحت نفسي أقول لها اسفقي * وان لم يكن ما لديك فريق

وقول آخر بنيسابور سادات كرام * ترى أحلامهم أحلام عاد

اذا بدأوا بعرف تمموه * وعادوا بعده أحلى معاد

وقريب منه قول الآخر

صفت لك فينا نعمتان وخصتا * حديثهما حتى القيامة ينشر

وجودك والدنيا اليك فقيرة * وجودك والمعروف في الناس ينكر

ومنه قول الشاعر

ذو راحة وكفت ندى وكفت ردى * وقضت بهلك عداته وعداته

كالغيث في اروائه وروائه * والليث في وثباته وثباته

(ومنه المزدوج) ويقال له التجنيس المردد والمكرر أيضا وهو أن يأتي في أواخر الاسجاع وقوافي الابيات بلفظتين متجانستين احداهما ضميمة الأخرى وبعضها كقولهم الشراب بغير

النغم

النغم غم وبغير الدسم سم وقول البستي

أبا العباس لا تحسب لشيبي * بأني من حلى الاشعار عار

فلي طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الاحجار جار

اذا ما أكبت الادوار زندا * فلي زند على الادوار وار

ومن أجناس التجنيس المصحف ويقال له تجنيس الخط أيضا وهو أن يأتي بكلمتين متشابهتين خطا لا لفظا كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون وقوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أشد حبا وأقل خبا وقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قصر من ثيابك فانه أتقى وأبقى وأنقى وقول البحتري ولم يكن المغتر بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

وقول أبي فراس من بحر شعرك أغترف * وبفضل علمك أعترف

(ومنه المضارع) ويسمى المطمع وهو أن يجاء بالكلمة ويبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها فيطمع في أنها مثلها فتخالفها بحرف ويسمى المطرف وهو أن يجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما الا بحرف واحد من الحروف المتقاربة سواء وقع آخرا أو حشوا كقوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير ومنه قول الحطيئة

مطاعين في الهيجا مطاعيم في الدجى * بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

وقول البحتري ظلمت أرجم فيك الظنون * أحاجة أنت أم حاجبه

وان كان التفاوت بغير المتقاربة سمي التجنيس اللاحق كقوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف وقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد وقول البحتري

هل لما فات من تلاق تلاف * أم لشاك من الصبابة شاف

(ومنه المشوش) وهو كل تجنيس يتجاذبه طرفان من الصيغة فلا يمكن اطلاق اسم أحدهما عليه كقولهم فلان مليح البلاغة صحيح البراعة (ومنه تجنيس الاشتقاق) ويسمى الاقتضاب أيضا ومنهم من عده أصلا برأسه ومنهم من عده أصلا في التجنيس وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة كقوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم وقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله تعالى فروح وريحان وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقول علي رضي الله عنه يا صفراء اصفري ويا بيضاء ابيضي وغري غيري ومن النظم قول أبي تمام

عممت الخلق بالنعماء حتى * غدا الثقلان منها مثقلين

وقول المطرزي

واني لاستحيي من المجد أن أرى * حليف غوان أو أليف أغاني

وقول الصاحب وقائلة لم عرتك الهموم * وأمرك ممتثل في الامم

فقلت ذريني على غصتي * فان الهموم بقدر الهمم

وقول آخر ان ترى الدنيا أغارت * ونجوم السعد غارت

فصروف الدهر شتى * كلما حارت أحارت

ومما يشبه المشتق ويسميه بعضهم المشابه وبعضهم يسميه المغاير قوله تعالى وجنى الجنتين دان وقوله تعالى قال انى لعملكم من القالين وقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة أخيه وقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله وأسلمت مع سليمان وقول خالد بن صفوان وأملت أمية ومن النظم قول البحترى

واذا مارياح جودك هبت * صار قول العذال فيها هباء

قلت وانما يحسن التجنيس اذا قل وأتى فى الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو مشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

سلت وسلت ثم سل سليلها * فأتى سليل سليلها مسلولا

ولا كقول أبى تمام * حسنت عليه أخت بنى حسين * ولا كقول المتنبى

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل عيش كلهن قلاقل

(ومن أجناس التجنيس تجنيس التصحيف) وهو ما كان كالمصحف الا فى اعجاز الكتابة ثم لا يخلو من أن يتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج أولا يتقارب فان تقارب سمى مضارعا وان لم يتقارب سمى لاحقا مثال الاول قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله تعالى بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقول قيس الايادى فى خطبته من مات فات وقول الشاعر

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد البلى تحت الصفا والصفائح

وقد اشتمل هذا البيت على المضارع والمتمم ومثال الثانى قول على رضى الله عنه الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر وقول عبد الله بن صالح وقد وصف اليمن ليس فيه الا ناسج برد أوسائس قرد (ومنها التجنيس المخالف) وهو أن يشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الاخرى دون ترتيبها كقول أبى تمام

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وقول البحترى شواجر أرماح يقطع بينهم * شواجن أرحام ملوم قطوعها

وقول المتنبى ممنعة منعمة رداح * يكلف لفظها الطير الوقوعا

فان اشتملت كل كلمة على حروف الاخرى وكان بعض هذه قلب حروف هذه خص باسم جناس العكس كقوله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرا وارقا وقول عبد الله ابن رواحة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

(ومنها التجنيس المعنى) وهو أن تكون احدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقه الوزن على الاتيان

باللفظ المجانس فيعدل الى مرادفه كقول الشاعر يمدح المهلب ويذكر فعله بقطرى بن الفجاءة وكان قطرى يكنى أبا نعامة

خذا بأبى أم الرئال فأجفلت * نعامته من عارض متلهب

أراد أن يقول خذا بأبى نعامة فأجفلت نعامته أى روحه فلم يستقم له فقال بأبى أم الرئال وأم الرئال هى النعامة وكقول الشماخ

وما أروى وان كرمت علينا * بأدنى من موقفة حرون

أروى اسم امرأة والموقفة الحرون أروى من الوحش وبها سميت المرأة فلم يمكنه أن يأتى باسمها وأتى بصفتها وقد صرح بذلك المعرى فى قوله

أروى النياق كأروى النيق يعصمها * ضرب يظل له السرحان مبهوتا

وبعضهم لا يدخل هذا فى باب التجنيس وان كان فى غاية الحسن والصعوبة والتسمية هنا تفيد ذلك

القول فى الطباق

المطابقة أن يجمع بين ضدين مختلفين كالايراد والاصدار والليل والنهار والسواد والبياض قال الاخفش وقد سئل عنه أجد قوما يختلفون فيه فطائفة وهم الاكثر تزعم أنه الشئ وضده وطائفة تزعم أنه اشتراك المعنيين فى لفظ واحد كقول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

ثم قال وهذا هو التجنيس بعينه ومن ادعى أنه طباق فقد خالف الاصمعى والخليل فقيل له أوكانا يعرفان ذلك فقال سبحان الله وهل أعلم منهما بالشعر وتمييز خبيثه من طيبه ويسمونه المطابقة والطباق والتضاد والتكافؤ وهو أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل فلا يجئ باسم مع فعل ولا بفعل مع اسم مثاله قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم رقود وقوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك الى قوله تعالى بغير حساب وقوله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع ومن النظم قول جرير

وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا

وقول البحترى

وأمة كان قبح الجور يسخطها * حينا فأصبح حسن العدل يرضيها

وقوله أيضا تبسم وقطوب فى ندى ووغى * كالبرق والرعد وسط العارض البرد

وقول دعبل لا تعجبى يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

وقول ابن المعتز يارب مبكية فى طى مضحكة * ورب مؤلمة فى ثنى لذات

ومن ذلك قول أبى تمام

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل

فان هاتا للحاضر وتلك للغائب فكانتا متقابلتين وقد تجئ المطابقة بالنفى كقول البحترى

يقيض لى من حيث لا أعلم النوى * ويسرى الى الشوق من حيث أعلم

وقال الزكى بن أبى الاصبع البصرى فى الطباق وهو على ضربين ضرب يأتى بألفاظ الحقيقة وضرب يأتى بألفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمى طباقا وما كان منه بلفظ المجاز سمى تكافؤا ومثال التكافؤ قول أبى الشعث العبسى من انشادات قدامة

حلو الشمائل وهو مرّ باسل * يحمى الذمار صبيحة الارهاق

لان قوله حلو ومرّ خارج مخرج الاستعارة اذ ليس الانسان ولا شمائله مما يذاق بحاسة الذوق ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيق

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا * نجوم العوالى فى سماء عجاج

وقد جمع بيت دعبل بين الطباق والتكافؤ وهو

لا تعجبى يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

لان ضحك المشيب مجاز وبكاء الشاعر حقيقة هكذا قال ابن أبى الاصبع وفيه نظر لانه اذا كان الطباق عنده التضاد بين حقيقتين والتكافؤ التضاد بين مجازين فليس فى البيت ما شرطه وقال ومما جمع بين طباقى السلب والايجاب قول الفرزدق من انشادات ابن المعتز

لعن الاله بنى كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وذكر فى آخر الباب طباق الترديد وهو أن يردّ آخر الكلام المطابق على أوله فان لم يكن الكلام متطابقا فهو رد الاعجاز على الصدور ومثاله قول الاعشى

لا يرفع الناس ما أوهوا وان جهدوا * طول الحياة ولا يوهون ما رفعوا

القول فى المقابلة

وهى أعمّ من الطباق وذكر بعضهم أنها أخص وذلك أن تضع معانى تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة فتأتى فى الموافق بما وافق وفى المخالف بما خالف أو تشترط شروطا وتعدّ أحوالا فى أحد المعنيين فيجب أن تأتى فى الثانى بمثل ما شرطت وعددت فى الاول كقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ومثاله من النظم قول الشاعر

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح * وفىّ ومطوىّ على الغل غادر

وقول تأبط شرا

أهزّ به فى ندوة الحى عطفه * كما هزّ عطفى بالهجان الاوارك

وقول آخر تقاصرن واحلولين لى ثم انه * أتت بعد أيام طوال أمرّت

وقول آخر واذا حديث ساءنى لم أكتئب * واذا حديث سرّنى لم أبتهج

وقول آخر وكيف يسامى خالدا أو يناله * خميص من التقوى بطين من الخمر

وقول زهير حلماء فى النادى اذا ما جئتهم * جهلاء يوم عجاجة ولقاء

وقول الفرزدق

لعمرى لئن قل الحصا فى رجالكم * بنى نهشل ما لؤمكم بقليل

وفى هذا البيت ضرب من المقابلة من جهة السلب ومن فساد ذلك أن تقابل الشئ بما لا يوافقه ولا يخالفه كقول أبى عدى القرشى

يا ابن خير الاخيار من عبد شمس * أنت زين الدنيا وغيث الجنود

فليس قوله غيث الجنود موافقا لقوله زين الدنيا ولا مخالفا له وكقول الكميت

وقد رأين بها حورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فالشنب لا يقابل الدل وقول آخر

وحماة بذى الصلاح وضرا * بون قدما لهامة الصنديد

وقد ذكر بعض أئمة هذا الفن تفصيلا فى المقابلة فقال فمن مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقول النابغة

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

وقول أبى نواس

أنا استدعيت عفوك عن قريب * كما استعفيت سخطك من بعيد

وقول الآخر

فلا الجود يفنى المال والجد مقبل * ولا البخل يبقى المال والجد مدبر

ومن مقابلة أربعة بأربعة قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابل بقوله استغنى قوله تعالى من اتقى لان معناه زهد فيما عند الله واستغنى بشهوات الدنيا عن الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومنه قول النابغة

اذا هبطا سهلا أثارا عجاجة * وان وطئا حزنا تقضت جنادل

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول أبى الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

قابل أزور بأنثنى وسواد ببياض والليل بالصبح ويشفع بيغرى ولى بقوله بى

القول فى الاسجاع

كلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض أن يجانس بين القرائن ويزاوج بينها ولا يتم ذلك الا بالوقف ألا ترى أن قولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت فلو ذهبت تصل لم يكن بد من اعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الاعراب لاختلاف أواخر القرائن وفات الساجع غرضه واذا رأيتهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها للازدواج فيقولون آتيك بالغدايا والعشايا وهنأنى الطعام ومرأنى وانصرفن مأزورات

غير مأجورات يريدون الغدوات وأمر آتى وموزورات مع أن فيه ارتكابا لمخالفة اللغة وكذلك أعط القوس باريها وفيه ترك الاعراب من أثناء الكلمة فما الظن بأواخر الكلم المشبهة بالقوافى والاولى أن يقال فى أواخر الآيات الفواصل اذا عرف هذا فالاسجاع أربعة أنواع الترصيع والمتوازى والمطرف والمتوازن (أما الترصيع) فهو أن تكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز كقوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اقبل توبتى واغسل حوبتى وقولهم فلان يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية وقولهم حتى عاد تعريضك تصريحا وتمريضك تصحيحا ومن النظم قول الخنساء

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهدى الطريقة نفاع وضرار

جواب قاصية جزاز ناصية * عقاد ألوية للخيل جرار

وكقول أبى فراس

وأفعالنا للراغبين كريمة * وأموالنا للطالبين نهاب

وقول الابيوردى

يروح اليهم عازب الحمد وافيا * ويغدو عليهم طالب الرفد عافيا

وقد يجيء مع التجنيس كقولهم اذا قلت الانصار كلت الابصار وما وراء الخلق الدميم الا الخلق الذميم ومن النظم قول المطرزى

وزندى فواضله ورىّ * وزندى فى فضائله نضير

ودرّ جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير

وقول الآخر فللخطة النكراء سيبك رافع * وللخطة العذراء سيفك خاطب

(والمتوازى) وهو أن يراعى فى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الآخر منهما كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا وقول الحريرى ألجأنى حكم دهر قاسط الى أن انتجع أرض واسط وقوله وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت (والمطرف) وهو أن يراعى الحرف الاخير فى كلتا قرينتيه من غير مراعاة الوزن كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال (والمتوازن) وهو أن يراعى فى الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الآخر منهما كقوله تعالى ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة وقولهم اصبر على حر القتال ومضض النزال وشدة المصاع ومداومة المراس فان راعى الوزن فى جميع كلمات القرائن أو أكثرها وقابل الكلمة منها بما تعادلها وزنا كان أحسن كقوله تعالى وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وقول الحريرى اسودّ يومى الابيض وابيض يومى الاسود ويسمى هذا فى الشعر الموازنة كقول البحترى

فقف مسعدا فيهن ان كنت عاذرا * وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

ومما هو شرط الحسن فى هذا المحافظة على تناسبه وهو اسم جامع للملاءمة والتناسب فالملاءمة تأليف الالفاظ الموافقة بعضها البعض على ضرب من الاعتدال كقول لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما أن تردّ الودائع

وبعضهم يعدّ التلفيق من باب الملاءمة وهو أن يضم الى ذكر الشيء ما يليق به ويجرى مجراه وأن يجمع الامور المتناسبة ويقال له مراعاة النظير أيضا كقول ابن سمعون المهلبى أنت أيها الوزير ابراهيمى الجود اسمعيلى الوعد شعيبى التوفيق يوسفى العفو محمدى الخلق وكقول أبى العشائر الحمدانى

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفى * والخيل من تحت الفوارس تنحط

لقرأت فيها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وكقول الفزارى

كأن الثريا علقت فى جبينه * وفى أنفه الشعرى وفى خده القمر

وكقول الآخر فنحن الثريا وعيوقها * ونحن السماكان والمرزم

وأنتم كواكب مجهولة * ترى فى السماء ولا تعلم

وقول المتنبى أحبك يا شمس الزمان وبدره * وان لامنى فيك السها والفراقد

وقول آخر

يا جوهر الحسن حسن الناس من عرض * والحسن لفظ ومعنى اللفظ معناكا

وقول آخر وكم سائل بالغيب عنه أجبته * هناك الايادى الشفع والسودد الوتر

عطاء ولا منّ وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وقول ابن حيوس

يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

والتناسب هو ترتيب المعانى المتآخية التى تتلاءم ولا تتنافر كقول النابغة

والرفق يمن والاناة سعادة * فتأن فى رفق تنال نجاحا

واليأس مما فات يعقب راحة * ولرب مطمعة تعود ذباحا

ويسمى التشابه أيضا وقيل التشابه أن تكون الالفاظ غير متباينة بل متقاربة فى الجزالة والرقة والمتانة والسلاسة وتكون المعانى مناسبة لالفاظها من غير أن يكسى اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد بل يصاغان معا صياغة تناسب وتلاؤم حتى لا يكون الكلام كما قيل وبعض قريض المرء أولاد علة * يكد لسان الناطق المتحفظ

(فصل فى الفقر المسجوعة ومقاديرها)

قصر الفقرات يدل على قوة التمكن واحكام الصناعة وأقل ما يكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال ذلك فى الكتاب العزيز كثيرة لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك فى رسائله كقوله كميت نهد كأن راكبه فى مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء

بخبر قالوا لكن التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوفه الى ما يرد على سمعه فأما الفقر المختلفة فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى ولكن لا بقدر كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فيقل الالتذاذ بسماعها فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس لكن لا تكون أكثر من المثل ولا بد من الزيادة في آخر القرائن مثاله في القرينتين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ومثاله في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وأقصر الطوال ما كان من احدى عشرة لفظة وأكثرها غير مضبوط مثاله من احدى عشرة لفظة قوله تعالى واذا أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور والتي بعدها من ثلاث عشرة كلمة ومثاله من عشرين لفظة قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور

﴿ردّ العجز على الصدر﴾

وهو كل كلام منثور أو منظوم يلاقي آخره أوله بوجه من الوجوه كقوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله تعالى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى وقولهم القتل أنفى للقتل والحيلة ترك الحيلة وقولهم طلب ملكهم فسلب ما طلب ونهب مالهم فوهب ما نهب وهو في النظم على أربعة أنواع الاول أن يقع طرفين متفقين صورة ومعنى كقوله

سريع الى ابن العم يشتم عرضه * وليس الى داعي الندى بسريع

وقوله سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وقوله تمنت سليمى أن أموت صبابة * وأهون شيء عندنا ما تمنت

أو متفقين صورة لا معنى وهو أحسن من الاول كقول السري

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

وقول الآخر ذوائب سود كالعناقيد أرسلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب

أو معنى لا صورة كقول عمر بن ربيعة

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

وقول مضرس بن ربعي

تمنيت أن ألقى سليما وعامرا * على ساعة تنسي الحليم الامانيا

وقول السري ضرائب أبدعتها في السماح * ولسنا نرى لك فيها ضريبا

وقول آخر ثلبك أهل الفضل قد دلني * انك منقوص ومثلوب

أولا صورة ولا معنى ولكن بينهما مشابهة اشتقاق كقول الحريري

ولاح يلحى على جري العنان الى * ملهى فسحقا له من لائح لاحا

الثاني أن يقع في حشو المصراع الاول وعجز الثاني اما متفقين صورة ومعنى كقول أبي تمام

ولم يحفظ مضاع المجد شيء * من الاشياء كالمال المضاع

وقول آخر أما القبور فانهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور

وقول آخر سقى الرمل جون مستهل ربابه * وما ذاك الا حب من حل بالرمل

وقول آخر وكنت سناما في فزارة تامكا * وفي كل حي ذروة وسنام

أو صورة لا معنى كقول الثعالبي

واذا البلابل أفصحت بلغاتها * فانف البلابل باحتساء بلابل

فالاول جمع بلبل والثاني جمع بلبلة وهي الهم والثالث جمع بلبلة الابريق وقول آخر

لا كان انسان تيمم قاصدا * صيد المها فاصطاده انسانها

وقال الزمخشري

وأخرني دهري وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم

فمذ أفلح الجهال أيقنت أنني * أنا الميم والايام أفلح أعلم

أو معنى لا صورة كقول امرئ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وقول أبي تمام دمن ألم بها فقال سلام * كم حل عقدة صبره الالمام

وقول أبي فراس

وما ان شبت من كبر ولكن * لقيت من الاحبة ما أشابا

أو في الاشتقاق فقط كقول أبي فراس

منحناها الحرائب غير أنا * اذا جرنا منحناها الجرابا

الثالث أن يقعا في آخر المصراع الاول وعجز الثاني اما متفقين صورة ومعنى كقول أبي تمام

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زلت بالبيض القواضب مغرما

أو صورة لا معنى كقول الحريري

فمشغوف بآيات المثاني * ومفتون برنات المثاني

أو معنى لا صورة كقول البحتري

فعلك ان سئلت لنا مطيع * وقولك ان سألت لنا مطاع

ومما يشبه المتفق وليس به قول الحريري

ومضطلع بتلخيص المعاني * ومطلع الى تخليص عاني

فالاول من تركيب عنى والثاني من تركيب عنو الرابع أن يقعا في أول المصراع الثاني والعجز اما متفقين صورة ومعنى كقول الحماسي

فالا يكن الا معلل ساعة * قليلا فاني نافع لي قليلها

أو صورة لا معنى كقول أبي دؤاد

عهدت لها منزلا داثرا * وآلا على الماء يحملن آلا

فالاول الاتباع والثاني أعمدة الخيام وكقول آخر

رماك زمان السوء من حيث لا ترى * فوافى ولم يظفر بما هو راما

أو معنى لا صورة كقول أبي تمام

ثوى في الثرى من كان يحيى به الورى * ويأمن صرف الدهر جاهله الغمر

وقد كانت البيض البواتر في الوغى * بواتر فهي الآن من بعده بتر

فهذه هي الاقسام التي وجدت أمثلتها وقد ذكر ابن أبي الاصبع أنها ثلاثة وأن ابن المعتز قسمها كذلك وهذه أربعة كما ترى ومن نوادر هذا الباب بيتا الحريري اللذان سماهما المطرفين وهما

سمة يحسن آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته * لتقتني السودد والمكرمه

فان لم يقع في العجز فليس من هذا الباب كقوله

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

وكقول الافوه الاودي

وأقطع الهوجل مستأنسا * بهوجل عيرانة عنتريس

فالهوجل الاول الفلاة والثاني الناقة السريعة

الاعنات

ويقال له التضييق والتشديد ولزوم ما لا يلزم وهو أن يعنت نفسه في التزام ردف أو دخيل أو حرف مخصوص قبل حرف الروي أو حركة مخصوصة كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بك أحاول وبك أصاول وقوله شر ما في المرء شح هالع أو جبن خالع وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقوله زر غبا تزدد حبا وقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك لها كلفا ولا بغضك لها تلفا وقول المعري

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأننا * زجاج ولكن لا يعاد له السبك

وهو كثير في شعره وقال آخر

يقولون في البستان للعين لذة * وفي الخمر والماء الذي غير آسن

اذا شئت أن تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وقد التزم ابن الرومي الفتح قبل حرف الروي وكان أولع الناس بذلك فقال

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

والا فما يبكيه فيها وانها * لأوسع مما كان فيه وأرغد

اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سيلاقي من أذاها يهدد

وهي طويلة وكلها على هذا اللزوم

المذهب الكلامي

وهو ايراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومنه قول النابغة يعتذر الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة * لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرأ لي جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب

ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم * فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

يقول لهذا الملك أنت أحسنت الى قوم فمدحوك وأنا أحسن الي قوم فمدحتهم فكما أن مدح من أحسنت اليه لك لا يعد ذنبا فكذا مدحي لمن أحسن الي لا يعد ذنبا قال ابن أبي الاصبع ومن شواهد هذا الباب قول الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة * ونفس يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى * اذا قل من أحرارهن شفيعها

يقول لكل انسان نفس مطمئنة تأمر بالخير ونفس أمارة تأمر بالسوء والانسان يعاصي الامارة مرة ويطيعها أخرى وأنت اذا أمرتك الامارة بترك الندى شفعت المطمئنة اليها في الندى في الحالة التي يقل فيها الشفع في الندى من النفوس فأنت أكرم الناس

حسن التعليل

وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو على ضربين الاول ان الصفة اما ثابتة قصد بيانها أو غير ثابتة أريد اثباتها فالاولى أن لا يظهر لها في العادة علة كقوله

لم تحك نائلك السحاب وانما * حمت به فصبيبها الرحضاء

والثانية تظهر لها علة كقوله

ما به قتل أعاديه ولكن * يتقي اخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الاعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره والضرب الثاني اما ممكنة كقوله

يا واشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انساني من الغرق

فان استحسان اساءة الواشي ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكر أو غير ممكنة كقوله

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وألحق به ما بني على الشك كقول أبي تمام

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع

كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وقد أحسن ابن رشيق في قوله

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لاني * حويت لكل انسان حبيبا

الالتفات

فسر قدامة الالتفات بأن قال هو أن يكون المتكلم آخذا فى معنى فيعترضه اما شك فيه أو ظن أو راد يرده عليه أو سائل يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه منه فاما أن يجلى الشك أو يؤكده أو يذكر سببه كقول الرماح بن ساده

فلا صرمه تبدو ففى اليأس راحة * ولا وصلة تصفو لنا فنكارمه

فكان هذا الشاعر توهم أن قائلا يقول ما تصنع بصرمه فقال لان فى اليأس راحة وأما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة ومثاله من القرآن العزيز الاخبار بأن الحمد لله رب العالمين ثم قال اياك نعبد واياك نستعين ومثاله من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذى طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

أو انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثال ذلك من الشعر قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

ثم قال مخبرا عنها

كيف المزار وقد تربع أهلها * بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

أو انصراف المتكلم من الاخبار الى التكلم كقوله تعالى وهو الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه أو انصراف المتكلم من التكلم الى الاخبار كقوله تعالى ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وقد جمع امرؤ القيس الالتفاتات الثلاثة فى ثلاثة أبيات متواليات وهى قوله

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد

وذلك من نبأ جاءنى * وخبرته عن أبى الاسود

فخاطب فى البيت الاول وانصرف الى الاخبار فى البيت الثانى وانصرف عن الاخبار الى التكلم فى البيت الثالث على الترتيب

التمام

وهو الذى سماه الحاتمى التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتمه وشرح حده انه الكلمة التى اذا طرحت من الكلام نقص معناه ومبالغته مع أن لفظه يوهم بأنه تام وهو على ضربين ضرب فى المعانى وضرب فى الالفاظ فالذى فى المعانى هو تتميم المعنى والذى فى الالفاظ هو تتميم الوزن والاول هو الذى قدم حده ومثاله قوله سبحانه وتعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وقوله تعالى من ذكر أو أنثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثان فى غاية البلاغة التى بذكرها تم معنى الكلام ومن هذا القسم قول الرسول صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتى عشرة ركعة من غير الفريضة الا بنى الله له بيتا فى الجنة فوقع التتميم فى هذا الحديث فى ثلاثة مواضع منها قوله مسلم وقوله لله وقوله من غير الفريضة ومن أناشيد قدامة على هذا القسم قول الشاعر

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

وأما الذى فى الالفاظ فهو الذى يؤتى به لاقامة الوزن بحيث لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين أحدهما مجيء الكلمة لا تفيد غير اقامة الوزن فقط والثانى مجيئها تفيد مع اقامة الوزن نوعا من الحسن فالاول من العيوب والثانى من المحاسن والكلام هنا فى الثانى ومثاله قول المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتى لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله يا جنتى لاقامة الوزن وقصدها دون غيرها مما يسد مسدها أن يكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لا تحصل بغيرها

(الاستطراد)

ذكر الحاتمى فى حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحترى وذكر غيره أن البحترى نقلها عن أبى تمام وسماه ابن المعتز الخروج من معنى الى معنى وفسره بأن قال هو أن يكون المتكلم فى معنى فيخرج به بطريق التشبيه أو الشرط أو الاخبار أو غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفا وغالب وقوعه فى الهجاء وان وقع فى غيره ولا بد من ذكر المستطرد باسمه بشرط أن لا يكون له تقدم ذكر فمن أول ما ورد فيه من النظم قول السموأل بن عاديا

وانا لقوم ما نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

ومنه قول حسان

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

وقول أبى تمام فى وصف حافر الفرس بالصلابة

أيقنت اذ لم يعرق أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقول البحترى فى الفرس أيضا

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومما جمع المدح والهجاء قول بكر بن النطاح

عرضت عليها ما تريد من المنى * لترضى فقالت قم فجئنى بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

سلى كل شىء يستقيم طلابه * ولا تذهبى يا درّ كل مذهب

فأقسم لو أصبحت فى عز مالك * وقدرته أعيا بما رمت مطلبى

فتى شقيت أمواله بنواله * كما شقيت بكر بأرماح تغلب

ومما جاء على وجه المجون قول بعضهم

اكشفى وجهك الذى أوحلتنى * فيه من قبل كشفه عيناك

غلطى فى هواك يشبه عندى * غلطى فى أبى على بن زاكى

ومما جاء فى النسب على وجه التشبيه قول امرئ القيس

عوجا على الطلل المحلل علنا * نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وهو ضربان أحدهما أنه يستثنى من صفة ذم منفية عن الشئ صفة مدح بتقدير دخولها فيه نحو قوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما فالتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشئ ببينة وأن الاصل فى الاستثناء الاتصال فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم اخراج شئ مما قبلها فاذا وليها صفة مدح جاء التأكيد والثاني أن تثبت لشئ صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له كقوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأصل الاستثناء فى هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعا لكنه باق على حاله لم يقدر متصلا فلا يفيد التأكيد الا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين ولهذا كان الاول أفضل ومن أمثلة الاول قول النابغة الذبيانى

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومن الثانى قول النابغة الجعدى

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقي على المال باقيا

ومن أحسن ما ورد في هذا الباب قول بعضهم

ولا عيب فينا غير أن سماحنا * أضر بنا والناس من كل جانب
فأفني الردى أعمارنا غير ظالم * وأفني الندى أموالنا غير غائب

تأكيد الذم بما يشبه المدح

(تأكيد الذم بما يشبه المدح) وهو ضربان أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشئ صفة ذم بتقدير دخولها فيه كقولك فلان لا خير فيه الا أنه يسئ الى من أحسن اليه وثانيهما أن تثبت للشئ صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليه صفة ذم له أخرى كقولك فلان فاسق الا أنه جاهل وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم

تجاهل العارف

(تجاهل العارف) وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو ليدل على شدة التدله في الحب أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير وقال السكاكى هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالتوبيخ كما فى قول الخارجية وهي ليلى بنت طريف

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو المبالغة فى المدح كما فى قول البحترى

ألمع برق سرى أو ضوء مصباح * أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

أو الذم كما فى قول زهير

وما أدرى ولست اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

أو التدله فى الحب كقول العرجى

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أو ليلى من البشر

ومنه قول بعض المحدثين

بدا فراع فؤادى حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

الهزل الذي يراد به الجد

(الهزل الذي يراد به الجد) وهو أن يقصد المتكلم ذم انسان أو مدحه فيخرج ذلك مخرج

المجون ومنه قول الشاعر

اذا ما تميمى أتاك مفاخرا * فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب

ومن أبلغ ما فى هذا الباب قول امرئ القيس

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذى وليس بفعال

وأنشد ابن المعتز فى هذا الباب قول أبى العتاهية

ياسلم أرقيك باسم الله أرقيكا * من بخل نفسك علّ الله يشفيكا
ماسلم كفك الا من يتاركها * ولا عدوك الا من يرجيكا

الكناية

(الكنايات) وهى أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالطاهر كقوله سبحانه وتعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وكقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط كناية عن قضاء الحاجة وقوله عز وجل ولكن لا تواعدوهن سرا كناية عن الجماع قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة الحى أننى * كبرت وأن لا يحسن السر أمثالى

ذهب كل من فسر شعره من العلماء الى انه أراد بالسر الجماع وفى السنة النبوية من الكناية مالا يكاد يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصا عن كتفه كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر ومن نخوة العرب وغيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض كما قال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم لأنجشة رويدا سوقك بالقوارير يعنى النساء ومن مليح الكناية قول بعض العرب

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام
سألت الناس عنك فخبرونى * هنا من ذاك يكرهه الكرام
وليس بما أحل الله بأس * اذا هو لم يخالطه الحرام

فكنى بالنخلة عن المرأة يشير الى أنه سأل عنها فأخبر أنها زوجت والعرب تكنى بالهنات عما يستقبح ذكره ومن أحسن الكنايات فى الهجاء قول بعض الشعراء يهجو انسانا ويرمى أمه بالفجور ويرميه بداء الاسد

أراد أبوك أمك حين زفت * فلم توجد لامك بنت سعد

يريد عذرة ثم قال

أخوكم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد

يريد جذاما فانه أخوكم

المبالغة

(المبالغة) وتسمى التبليغ والافراط فى الصفة وحد قدامة المبالغة فقال هى أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون أبلغ فى معنى قصده كقول عمير بن كريم التغلبى

ونكرم جارنا مادام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

ومما ورد فى المبالغة من السنة النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه عز وجل انه

قال كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به وقوله فى بقية هذا الحديث والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ففى هذا الحديث مبالغتان احداهما كون الله سبحانه وتعالى أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة فى تعظيمه وشرفه وأخبر أنه سبحانه وتعالى يتولى مجازاة الصائم مبالغة فى تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم أن الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى ولعبده باعتبارين اما كونها لله تعالى فلأنها عملت لوجهه الكريم واما كونها للعبد فلأنه يثاب عليها فتخصيص الصيام من بينها بالاضافة الى الرب سبحانه وتعالى وتخصيص ثوابه بأنه هو يجزى به انما كان للمبالغة فى تعظيمه والحث عليه والمبالغة الثانية اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على أعظم الطيب وأتى بصيغة افعل للمبالغة ومن أمثلة المبالغة المنقولة قول امرئ القيس

فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

فانه أخبر عن هذا الفرس انه أدرك ثورا وبقرة وحشية فى مضمار واحد ولم يعرق ومثله قول أبى الطيب

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

وما يعاب من المبالغة الا ما خرج عن حد الامكان الى الاستحالة كقوله

وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التى لم تخلق

وأما اذا كان كقول قيس بن الحطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفى فانهرت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها

فان ذلك من جيد المبالغة اذ لم يكن قد خرج مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية فى وصف الطعنة ومن أحسن ذلك وأبلغه قول أحد شعراء الحماسة

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره * وما بعد شكرى للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

عتاب المرء نفسه

(عتاب المرء نفسه) وهو من أفراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين ذكر أن الآمدى أنشدهما عن الجاحظ

عصانى قومى والرشاد الذى به * أمرت ومن يعص المجرب يندم

فصبرا بنى بكر على الموت اننى * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

ومثله قول دريد بن الصمة

نصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهد

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وأننى غير مهتد

وما أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

ولا

ولا يصلح أن يكون شاهدا لهذا الباب الا قول شاعر الحماسة

أقول لنفسى فى الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

وقول الآخر فقدتك من نفس شعاع فاننى * نهيتك عن هذا وأنت جميع

حسن التضمين

(حسن التضمين) هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو حديث أو مثل سائر أو بيت شعر ومن انشادات ابن المعتز فى هذا الباب

عوذ لما بت ضيفا له * أقراصه منى بياسين

فبت والارض فراشى وقد * غنت قفا نبك مصارينى

فضمن بيته الاول كلمة من السورة بتوطئة حسنة و بيته الثانى مطلع قصيدة امرئ القيس ومما ضمن فيه معنى الحديث النبوى صلوات الله على قائله قول الآخر

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل ما مسنى من الجوع قرح

بت ضيفا له كما حكم الدهر * وفى حكمه على الحر قبح

قال لى مذ نزلت وهو من السكر * وبالهم طافح ليس يصحو

لم تغربت قلت قال رسول الله * والقول منه نصح ونجح

سافروا تغنموا فقال وقد قال * تمام الحديث صوموا تصحوا

ومن تضمين الشعر قول بعضهم

وقفنا بانضاء حنينا كواعب * على مثلها من أربع وملاعب

وهو مطلع قصيدة لأبى تمام وكمل حسنه حسن التوطئة فى عود الضمير الى الانضاء ومنه قول المعرى

طول حياة ما لها طائل * نغص عندى كل ما يشتهى

أصبحت مثل الطفل فى ضعفه * تشابه المبدأ والمنتهى

فلا تلم سمعى اذا خاننى * ان الثمانين وبلغتها

المراد من التضمين هنا تمام البيت وهو قوله قد أحوجت سمعى الى ترجمان وانما تركه لان أول البيت يدل عليه لشهرته وأنشد فى الشهاب بن الانبارى بحماه لنفسه فى تضمين النصف الثانى

وقل لمن لامك فى وصلها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

وقلت فى تضمين مثل مشهور

بانوا وخلفنى الاسى فى ربعهم * أبكى الطلول مصرحا ومعرضا

ولو استطعت فراقها لتبعتهم * فزمامها بيدى وما ضاق الفضا

وللنور الاسعردى فى مثل ذلك

سبانى معسول المبانى عاسل المعاطف مصقول السوالف مائد

يروم على ارادفه الخصر مسعدا * اذا عظم المطلوب قل المساعد

وأنشدنى عفيف الدين التلمسانى لنفسه فى مثل ذلك

يشكو الى أردافه خصره * لو تسمع الامواج شكوى الغريق

وقد أكثر المتأخرون فى ذلك وفى تضمين البيت الكامل ومن الحسن فى ذلك ما حكى أن شرف

الدين الحلاوى أنشد لغزا فى الشبابة وهو

وناطقة خرساء بادٍ شحوبها * تكنفها عشر وعشر تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سدّ منها منخر جاش منخر

نهانى النهى والشيب عن وصل مثلها * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

وفى اللغز والجواب تضمين ذهبى بيتين لتأبط شرا وقد ضمنت بيتين بتوطئة واحدة وهما

وبتنا على حكم الصبابة مطمعى * زفيرى وأشجانى وشربى المدامع
وخلى يعاطينى كؤس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع
أتطمع من ليلى بوصل وانما * يقطع أعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

التلميح

(التلميح)

وهو من التضمين وانما بعضهم أفرده وهو أن يشير فى فحوى الكلام الى مثل سائر أو بيت مشهور أو قضية معروفة من غير أن يذكره كقوله

المستغيث بعمرو عند كربته * كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أشار الى قصة كليب واستغاثته بعمرو بن الحرث ومنهم من يسمى ذلك اقتباسا وايراد المثل كما هو تضمينا ارسال المثل كقول أبى فراس

تهون علينا فى المعالى نفوسنا * ومن يخطب العلياء لم يغلها مهر

وكقول المتنبى

تبكى عليهن البطاريق فى الدجى * وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

(ارسال مثلين) هو الجمع بين مثلين كقول لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وقول النابغة ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

وقول زهير ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وقول عبيد بن الابرص

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وقول المتنبى أعز مكان فى الدنا سرج سابح * وخير جليس فى الانام كتاب

وقوله أيضا وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقول أبى فراس ومن لم يوق الله فهو مضيع * ومن لم يعز الله فهو ذليل

الكلام الجامع

(الكلام الجامع)

هو أن يكون البيت جاريا مجرى مثل واحد كقول زهير

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكقول أبى فراس

اذا كان غير الله فى عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

وللمتنبى فى ذلك اليد البيضاء كقوله

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقوله ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقوله انا لفى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واجمال

وقوله ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم

وقوله والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

اللف والنشر

(اللف والنشر)

هو أن يذكر شيئين فصاعدا ثم يأتى بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقة بأن السامع يرد الى كل واحد منهما ماله كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومن النظم قول الشاعر

ألست أنت الذى من ورد نعمته * وورد راحته أجنى واغترف

وقد لا يراعى فيه الترتيب ثقة بأن السامع يرد كل شئ الى موضعه سواء تقدم أو تأخر كقول الشاعر كيف أشكو وأنت خيف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

التفسير

(التفسير وهو قريب منه) وهو أن يذكر لفظا ويتوهم أنه يحتاج الى بيانه فيعيده مع التفسير كقول أبى مسهر

غيث وليث فغيث حين تسأله * عرفا وليث لدى الهيجاء ضرغام

ومنه قول الشاعر

يحيى ويردى بجدواه وصارمه * يحيى العفاة ويردى كل من حسدا

ومن ذلك أن يذكر معانى ويأتى بأحوالها من غير أن يزيد أو ينقص كقول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لألفيت فيهم معطيا ومطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

لكنه لم يراع شرط اللف والنشر وكقول آخر

فواحسرتا حتى متى القلب موجع * بفقد حبيب أو تعذر افضال
فراق حبيب مثله يورث الاسى * وخلة حر لا يقوم بها مالى

ومنه قول ابن شرف



سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

وقلت فى هذا المعنى

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والآساد والاطيار
هذى منعت وهؤلاء حميتهم * وسقيت تلك وعم ذى الايثار

ومن أحسن ما فى هذا الباب قول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وفساد ذلك أن يأتى ازاء الشئ مالا يكون مقابلا له كقول الشاعر

فيا أيها الحيران فى ظلم الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغى من العدا
تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء ومن كفيه بحرا من الندى

فأتى بالندى بازاء بغى العدا وكان يجب أن يأتى بازائه بالنصر أو العصمة أو الوزر وما جانسه أو يذكر فى موضع البغى الفقر والعدم وما جانس ذلك

التعديد

(التعديد ويسمى سياقة الاعداد) وهو ايقاع أسماء مفردة على سياق واحد فان روعى فى ذلك ازدواج أو جناس أو تطبيق أو نحو ذلك كان غاية فى الحسن كقولهم وضع فى يده زمام الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهى والبسط والقبض والابرام والنقض والاعطاء والمنع ومن النظم قول المتنبى

الخيل والليل والبيداء تعرفنى * والضرب والطعن والقرطاس والقلم

تنسيق الصفات

(تنسيق الصفات)

وهو أن يذكر الشئ بصفات متوالية كقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الآية وقوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وقوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ومن النظم قول أبى طالب فى النبى صلى الله عليه وسلم

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقول حسان

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

وقول المتنبى

دان بعيد محب مبغض بهج * أغر حلو ممر لين شرس

الايهام

(الايهام)

ويقال له التورية والتخييل وهو أن يذكر ألفاظا لها معان قريبة وبعيدة فاذا سمعها الانسان سبق الى فهمه القريب ومراد المتكلم البعيد مثاله قول عمر بن أبى ربيعة

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

فذكر الثريا وسهيلا ليوهم السامع انه يريد النجمين ويقول كيف يجتمعان والثريا من منازل

القمر الشامية وسهيل من النجوم اليمانية ومراده بالثريا المرأة التى كان يتغزل بها لما تزوجت بسهيل وبعد ما بين المنازل الشامية والنجوم اليمانية تأتى له الانكار على من فعل ذلك ومن ذلك قول المعرى

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

فانه وهم السامع يذهب الى الاقارب ومراده بالجد الحظ وبالعم الجماعة من الناس وبالخال المخيلة ومن ذلك قول الحريرى فى وصف الابرة والميل فى المقامة الثامنة ومعظم ما ذكر فى أوصافهما من باب التورية وقوله أيضا

ياقوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الاوصاف فى الانديه
قتلتها لا أتقى وارثا * يطالب منى قودا أوديه

يريد بالعانس العاتق الخمر وبقتلها مزجها كما قال حسان

ان الذى عاطيتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ومن ذلك قول الشاعر

كأن كانون أهدى من ملابسه * لشهر آذار أنواعا من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرفت * فليس تفرق بين الجدى والحمل

وأمثال ذلك كثيرة وخصوصا فى أشعار المتأخرين وعند علماء البيان التخييل تصوير حقيقة الشئ للتعظيم كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه والغرض منه تصور عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو مجاز وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم انما نحن حفنة من حفنات ربنا قال الزمخشرى ولا نرى بابا فى علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام الانبياء عليهم السلام

حسن الابتداآت

(حسن الابتداآت)

هذه تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداآت القصائد وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال وهو أن يأتى الناظم أو الناثر فى ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده فى القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده والكاتب أشد ضرورة الى ذلك من غيره فيبنى كلامه على نسق يستدل منه على مقصده من أول وهلة اما فى خطبة تقليد أو دعاء كتاب كما قيل لكاتب اكتب الى الامير بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الانسان فكتب أما بعد حمد الله خالق الانام فى بطون الانعام وكقول أبى تمام فى فتح عمورية وكان المنجمون ذكروا أنها لا تفتح الا فى أيام التين والعنب

السيف أصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

وكقول أبى الطيب فى الصلح الذى وقع بين كافور وبين ابن مولاه بعد وحشة شديدة

حسم الصلح ما اشتهته الاعادى * وأذاعته ألسن الحساد

وقوله وقد استظهر الروم على سيف الدولة وفر عنه أكثر من كان معه

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

وقوله فى عتاب سيف الدولة

واحر قلباه ممن قلبه شبم * ومن بجسمى وحالى عنده سقم

وقوله فى تهنئته بعافيته

المجد عوفى اذ عوفيت والكرم * و زال عنك الى أعدائك الالم

ونحو ذلك وأمثلة هذا النوع كثيرة نظما ونثرا و ينبغى أن لا يبتدى بشئ يتطير منه كقول ذى الرمة * ما بال عينيك منها الماء ينسكب * وقول البحترى * لك الويل من ليل تقاصر آخره

وكقول المتنبى كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكقوله ملث القطر أعطشها ربوعا * والا فاسقها السم النقيعا

و ينبغى أن يراعى فى الابتدا آت ما يقرب من المعنى اذا لم تتأت له براعة الاستهلال وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه وقد حكى أن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابغة

كلينى لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطئ الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مولد قول اسحق بن ابراهيم الموصلى حيث قال

هل الى أن تنام عينى سبيل * ان عهدى بالنوم عهد طويل

ويحسن أن يبتدى فى المديح بمثل قول أبزون العمارى

على منبر العلياء جدك يخطب * وللبلدة العذراء سيفك يخطب

وقول المتنبى عدوك مذموم بكل لسان * وان كان من أعدائك القمران

وقول السفاسى

ماهز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

وفى التشبيب كقول أبى تمام

على مثلها من أربع وملاعب * أذيلت مصونات الدموع السواكب

وقول الابيوردى

تحية مزن بات يقرأها الرعد * على منزل جرت به ذيلها دعد

وقوله ترنح من برح الغرام مشوق * عشية زمت للتفرق نوق

وفى النسيب كقول المتنبى

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وفى المراثى كقول أبى تمام

لذى فليجل الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وقول المتنبى نعد المشرفية والعوالى * و يقتلنا المنون بلا قتال

براعة التخلص

(براعة التخلص) هو أن يكون التشبيب أو النسيب ممتزجا بما بعده من مدح وغيره غير منفصل كقول مسلم بن الوليد

أجدك هل تدرين أن رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر

ذهبت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وكقول البحترى ربا ع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد

اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

وقول المتنبى نودعهم والبين فينا كانه * قنى ابن أبى الهيجاء فى قلب فيلق

براعة المطلب

(براعة المطلب) هو أن تكون الالفاظ مقترنة بتعظيم الممدوح كقول أمية بن أبى الصلت

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حباؤك ان شيمتك الحياء

اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقول المتنبى وفى النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتى بيان عندها وخطاب

براعة المقطع

(براعة المقطع) هو أن يكون آخر الكلام الذى يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسنا لتبقى لذته فى الاسماع كقول أبى تمام

أبقت بنى الاصفر المصفر كاسمهم * صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وكقول المتنبى وأعطيت الذى لم يعط خلق * عليك صلاة ربك والسلام

وكقول الغزى بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله * وهذا دعاء للبرية شامل

السؤال والجواب

(السؤال والجواب) كقول أبى فراس

لك جسمى تعله * فدمى لم تحله * قال ان كنت مالكا * فلى الامر كله

وكقول الباخرزى قلت لها هجرتنى ما العلة * فتمايلت دلا وقالت قبلة

ومن المستظرف فى هذا الباب قول وضاح اليمن

قالت ألا لا تلجن دارنا * ان أبانا رجل غائر

قلت فانى طالب غرة * منه وسيفى صارم باتر

قالت فان البحر ما بيننا * قلت فانى سابح ماهر

قالت أليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر

قالت لقد أعييتنا حيلة * فأت اذا ما هجع السامر

واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر

وهو كثير فى شعر عمر بن أبى ربيعة وعلى بن الجهم

صحة الاقسام

(صحة الاقسام) وهو أول أبواب قدامة صحة الاقسام عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيأ ومثال ذلك قوله تعالى وهو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع فى المطر قالوا ومن لطيف ما وقع فى هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق تقع مع أول برقة ولا يحصل المطر الا بعد توالى البرقات ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة وتنتجع فلا تخطئ الغيث والكلا والى هذا أشار المتنبى بقوله

وقد أرد المياه بغير هاد * سوى عدى لها برق الغمام

ومنه قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فلم يبق قسم من أقسام الهيئات حتى أتى به وقوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما الآية لانه سبحانه وتعالى اما أن يفرد العبد بهبة الاناث أو بهبة الذكور أو يجمعهما له أولا يهبه شيأ وفى السنة من صحة الاقسام قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ولا رابع لهذه الاقسام ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الاعرابى منكم أحدا الا عمه بالمسألة ومن أمثلة هذا الباب فى الشعر قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق ليمن الله ما ندرى

وقول بشار فراح فريق فى الاسار ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه
وأصله قول عمرو بن الاهتم

اشربا ما شربتما فهذيل * من قتيل وهارب وأسير

قال المؤلف ولى فى هذا المعنى لكن أخرجت القسم الثالث بالاستثناء فادعيت قسمين ومرادى ثلاثة وهو قسمتهم شطرين غير غريقهم * فالسيف شطروا القيود لها شطر
ومن جيد صحة الاقسام قول الحماسى

وهبها كشئ لم يكن أو كنازح * به الدار أو من غيبته المقابر

فاستوفى أقسام المعدوم جميعها وكقول أبى تمام فى الافشين وقد أحرق بالنار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومن قديم ما فى ذلك من الشعر قول زهير

وأعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عم

ونقل أبو نواس هذا المعنى من الجد الى الهزل فقال

أمر غد أنت منه فى لبس * وأمس قد فات فاله عن أمس
وانما الشأن شأن يومك ذا * فباكر الشمس بابنة الشمس

ومن النادر فى صحة الاقسام قول عمر بن أبى ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا بعدها يسلى ولا أنت تصبر

قال المؤلف وقلت فى هذا المعنى وزدت بالتشبيه

وانى لفى نظرى نحوها * وقد ودعتنى قبيل الفراق
ولا صبر لى فأطيق النوى * ولا طمع ان نأت فى اللحاق
ولا أمل يرتجى فى الرجوع * ولا حكم فى رد تلك النياق
كمضنى يودع روحا غدت * يراها على رغمه فى السياق

التوشيح

(التوشيح) هو أن يكون معنى أول الكلام يدل على لفظ آخره فيتنزل المعنى منزلة الوشاح

ويتنزل

ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وقال قدامة هو أن يكون فى أول البيت معنى اذا علم علمت منه القافية بلفظه كقول الراعى النميرى

فان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وعرف القافية والروى علم آخر البيت ومن أمثلة هذا ما حكى عن عمر بن أبى ربيعة انه أنشد عبد الله بن العباس رضى الله عنهما *تشط غدا دار جيراننا* فقال عبد الله *وللدار بعد غد أبعد* فقال له عمر هكذا والله قلت فقال عبد الله وهكذا يكون* ويقرب من هذه القصة قصة عدى بن الرقاع العاملى حين أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق كلمته التى أولها * عرف الديار توهما فاعتادها حتى انتهى الى قوله * تزجى أغن كأن ابرة روقه * شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال * قلم أصاب من الدواة مدادها * فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدى الى الانشاد قال * قلم أصاب من الدواة مدادها * فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا

الايغال

(الايغال) معنى الايغال أن المتكلم أو الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية تفيد معنى زائدا على معنى الكلام وأصله من أوغل فى السير اذا بلغ غاية قصده بسرعة وفسره قدامة بأن قال هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتى بقافية فاذا أراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت كقول ذى الرمة

قف العيس فى آثار مية واسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع فى البيت الثانى فقال أظن الذى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبذير الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقوله كتبذير الجمان المفصل واحتاج الى القافية فأتى بها ليفيد معنى زائدا ولم يأت بها لم يحصل وقد حكى عن الاصمعى انه سئل عن أشعر الناس فقال الذى يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا أو ينقضى كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد بها معنى فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعانى امرئ القيس حيث قال

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

ونحو زهير حيث يقول

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

ومن أبلغ ما وقع فى هذا الباب قول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

ولقد أحسن ابن المعتز فى قوله لابن طباطبا العلوى

فأنتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

ومن الايغال قول امرئ القيس

اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب

ومن أمثلة ذلك فى شعر المتأخرين قول الباخرزى

تعجبت من ضنا جسمى فقلت لها * على هواك فقالت عندى الخبر

الإشارة

(الاشارة) وهى أن يشتمل اللفظ القليل على معان كثيرة بايماء اليها وذكر لمحة تدل عليها كقوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وغشيهم من اليم ما غشيهم وقول امرئ القيس

فان تهلك شنوأة أو تبدل * فسيرى ان فى غسان خالا

بعزهم عززت وان يذلوا * فذلهم أنالك ما أنالا

وكقوله على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جرى غير كز ولا وان

وكقوله أيضا فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل فى نعيم نحسه متغيب

وكقول امرأة من عكل

يا ابن الدعى انها عكل فقف * لتعلمن اليوم ان لم تنصرف

ان الكريم واللئيم مختلف

التذييل وهو ضد الإشارة

(التذييل وهو ضد الاشارة) وهو اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه كقوله

اذا ما عقدنا له ذمة * شددنا العناج وعقد الكرب

وكقول الآخر ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

ويقرب منه التكرار كقول عبيد

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا

وكقول الآخر وكانت فزارة تصلى بنا * فأولى فزارة أولى فزارا

الترديد

(الترديد) هو أن يعلق لفظة فى البيت بمعنى ثم يردها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كما قال زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

وكقول آخر واحفظ مالى فى الحقوق وانه * لجم وان الدهر جم عجائبه

وكقول أبى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

التفويف

(التفويف) اشتق التفويف من الثوب المفوف وهو الذى فيه خطوط بيض وهو فى الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الاغراض كل فن فى سجعة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل فى الوزنة ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة فمثال ما جاء منه بالجمل الطويلة قول النابغة الذبيانى

فلله عينا من رأى أهل قبة * أضر لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظم أحلاما وأكبر سيدا * وأفضل مشفوعا اليه وشافعا

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قول أبى الوليد بن زيدون

ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبى

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

التسهيم

(التسهيم) ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيأ واحدا ويشرك بينهما بالتسوية والفرق بينهما أن التوشيح لا يدلك أوله الا على القافية فحسب والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة على ما دون العجز وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات جنوب أخت عمرو ذى الكلب فان الحذاق بمعانى الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها

* فأقسم يا عمرو لو أن نبهناك * يقتضى أن يكون تمامه * اذا نبهنا كان داء عضالا * دون غيره من القوافى كالوقالت مكان داء عضالا ليثا غضوبا أو أفعى قتولا أو سما وحيا أو ما ناسب ذلك لان الداء العضال أبلغ من هذه الاشياء جميعها وأشد اذ كل منها يمكن مغالبته أو التوقى منه والداء العضال لا دواء له فهذا مما يعرف بالمعنى وأما ما يدل فيه الاول على الثانى دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبهنا ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

فان الحاذق بصناعة الكلام اذا سمع قولها مفيتا مفيدا تحقق ان هذا اللفظ يقتضى أن يكون تمامه نفوسا ومالا وكذلك قولها

وخرق تجاوزت مجهوله * بوجناء حرف يشكى الكلالا

فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والمراد البيت الثانى لان قولها فكنت النهار به شمسه يقتضى أن يتلوه وكنت دجى الليل فيه الهلالا ومن ذلك قول البحترى * واذا حاربوا أذلوا عزيزا * يحكم السامع بان تمامه * واذا سالموا أعزوا ذليلا * وكذلك قوله

أحلت دمى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامى

فليس الذى حللته بمحلل * يعرف السامع أن تمامه * وليس الذى حرمته بحرام * وهو مأخوذ من البرد المسهم وهو المخطط الذى لا يتفاوت ولا يختلف

الاستخدام

(الاستخدام) وهو أن يأتى المتكلم بلفظة لها معنيان ثم يأتى بلفظتين يستخدم كل لفظة منهما فى معنى من معانى تلك اللفظة المتقدمة وربما التبس الاستخدام بالتورية أيضا وكل واحد من البابين مفتقر الى لفظة لها معنيان والفرق بينهما أن التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة واهمال الآخر والاستخدام استعمالهما معا ومن أمثلته قول البحترى

فسقى الغضا والساكنيه وانهم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فان لفظة الغضا محتملة للموضع والشجر والسقيا صالحة لهما فلما قال والساكنيه استعمل معنى اللفظ وهو دلالته بالقرينة على الموضع ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو دلالته بالقرينة على الشجر ومن ذلك أيضا قول الشاعر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

أراد بالسماء الغيث وبضميره النبت ومن ذلك قول أبى العلاء المعرى

وفقيها أفكاره شدن للنعمان ما لم يشده شعر زياد

أراد بلفظة النعمان الامام أبا حنيفة والنعمان بن المنذر فقال شادت أفكاره له ما لم يشده شعر النابغة لذلك والمسمى واحد

العكس والتبديل

(العكس والتبديل) وهو أن يقدم فى الكلام أحد جزأيه ثم يؤخر ويقع على وجوه منها أن يقع من طرفى الجملة كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات ومنها أن يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين كقوله تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومنه بيت الحماسة

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

ومنها أن يقع بين كلمتين فى طرفى جملتين كقوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقول أبى الطيب

ولا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

الرجوع

(الرجوع) وهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

كأنه لما وقف على الديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم ثاب اليه عقله وتحقق ما هى عليه من الدروس فقال بلى عفت وغيرها الارواح والديم ومنه بيت الحماسة

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل

التغاير

(التغاير) هو ان يغاير المتكلم الناس فيما عادتهم ان يمدحوه فيذمه أو يذموه فيمدحه فمن ذلك قول أبى تمام يغاير جميع الناس فى تفضيل التكرم على الكرم

قد بلونا أبا سعيد حديثا * وبلونا أبا سعيد قديما

فوردناه سائحا وقليبا * ورعيناه بارضا وهشيما

فعلمنا ان ليس الا بشق النفس صار الكريم يدعى كريما

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة

لا يتعب النائل المبذول همته * وكيف يتعب عين الناظر النظر

ومن هذا أخذ الحسينى قوله

لو كفر العالمون نعمته * لما عدت نفسه سجاياها

كالشمس لا تبتغى بما صنعت * منزلة عندهم ولا جاها

(والاصل قول بشار)

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم الرجاء

قال ابن أبى الاصبع أخذ أبو تمام معناه الذى غاير فيه الناس من قول ابراهيم بن بشار النظام لانه غاير جميع العلماء فى استدلاله على ان شكر النعم لا يجب شرعا ولا عقلا وقال يعنى النظام فى نظم الدليل كلاما نقحته وحررته فقلت المعطى لا يعدو بعطائه أحد أربعة أقسام حاضرة

اما للخوف واما للرجاء واما لطلب الثناء واما للعشق فى العطاء فاما المعطى للخوف فحمله على ذلك اتقاؤه ما خافه بعطائه فلا يجب شكره والمعطى للرجاء اما أن يرجو المكافأة عن عطائه ممن أعطاه أو يرجو بذلك ثواب الله وهو فى كلتا حالتيه لا يجب شكره والمعطى لطلب الثناء حق عطائه أن يثنى عليه فاذا أثنى عليه سقط حقه فلا يجب شكره والمعطى للعشق فى العطاء مسكن بعطائه غليل قلبه ومنفس به من كربه فلا يجب شكره ومن التغاير ما قاله ابن الرومى فى تفضيل القلم على السيف وهو خلاف المعتاد

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لا شئ يعادله * ما زال يتبع ما يجرى به القلم

بذا قضى الله للاقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

غايره المتنبى على طريق المألوف فقال

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم

أكتب بها أبدا قبل الكتاب بنا * فانما نحن للاسياف كالخدم

الطاعة والعصيان

(الطاعة والعصيان)

هذا النوع استنبطه أبو العلاء المعرى عند نظره فى شعر أبى الطيب وسماه هذه التسمية وقال هو ان يريد المتكلم معنى من المعانى التى للبديع فيستعصى عليه لتعذر دخوله فى الوزن الذى هو آخذ فيه فيأتى موضعه بكلام غيره يتضمن معنى كلامه ويقوم به وزنه ويحصل به معنى فى البديع غير الذى قصده كقول المتنبى

يرديدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

فانه أراد أن يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ حتى اذا قال ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد يكون فى البيت مطابقة فلم يطعه الوزن فاتى بقادر موضع مستيقظ لتضمنه معناه فان القادر لا يكون الا مستيقظا وزيادة فقد عصاه فى البيت الطباق وأطاعه الجناس بين قادر وراقد وهو تجنيس عكس وأنكر ابن أبى الاصبع أن يكون هذا الشاهد من باب الطاعة والعصيان لانه كان يمكنه أن يقول عوض قادر ساهر وانما قصد المتنبى ان شاهد الطاعة والعصيان عنده أن يعصيه اقامة الوزن مع اظهار مراده فتطيعه لفظة من البديع يتم بها المعنى ويزيده حسنا كقول عوف بن محلم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

فانه أراد أن يقول ان الثمانين قد أحوجت سمعى الى ترجمان فعصاه الوزن وأطاعته لفظة من البديع وهى التتميم فزادته حسنا وكملت مراده وكل التتميم من هذا النوع

التسميط

(التسميط)

هو ان يجعل المتكلم مقاطيع اجزاء البيت والقرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القرينة كقول مروان بن أبى حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

فان اجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد

التشطير

(التشطير) هو ان يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر من الشطرين ولكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر كقول مسلم بن الوليد

موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

(وكقول أبي تمام)

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب

التطريز

(التطريز) وهو أن يبتدئ الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعداد جمل تلك الذوات تعداد تكرر واتحاد لا تعداد تغاير وذلك كقول ابن الرومي

أموركم بني خاقان عندي * عجاب في عجاب في عجاب
قرون في رؤس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

وكقوله

ويسقيني ويشرب من رحيق * خليق أن يشبه بالخلوق
كأن الكاس في يدها وفيها * عقيق في عقيق في عقيق

(وكقول الشاعر)

فثوبي والمدام ولون جسمي * شقيق في شقيق في شقيق

التوشيع

(التوشيع) هو من الوشيعة وهي الطريقة في البرد فكأن الشاعر أهمل البيت كله الا آخره فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنه تفسير لما ثناه وقد جاء من ذلك في السنة ما لا تلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة ذلك في الشعر قول الشاعر

أمسي وأصبح من تذكاركم وصبا * يرثي لي المشفقان الاهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم * واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد

قال ابن أبي الاصبع ومن أحسن ما نقلته في هذا الباب قول الشاعر

لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد
بي محنتان ملام في هوى بهما * رثى لي القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من أمنية وأسى * أودى بي المرديان الشوق والفكر

قال ويحسن أن يسمى ما في بيته مطرف التوشيع اذ وقع المثنى في أول كل بيت وآخره

الاغراق

(الاغراق) وهو فوق المبالغة ودون الغلو ومن أمثلته قول ابن المعتز

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

فموضع الاغراق من البيت قوله ظالمين يعني انها استفرغت جهدها في العدو فما ضربناها الا ظالمين من أجل ذلك خرجت من الوحشية الى الطيرية ولو لم يقل ظالمين لما حسن قوله فطارت ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها حقيقة وعد من الاغراق لا المبالغة قول امرئ القيس

تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

الغلو

(الغلو) ومنهم من يجعله هو والاغراق شيأ واحدا ومن شواهده المستحسنة قول مهلهل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وقالوا انما كان هذا من باب الغلو وبيت امرئ القيس المتقدم في صفة النار من باب الاغراق لان حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وبينهما في الادراك بون بعيد ويشبه هذا في الافراط والغلو قول المتنبي في صفة الاسد

وردا اذا ورد البحيرة شاربا * ورد الفرات زئيره والنيلا

قالوا ومن أمثلة الغلو قول النمر بن تولب

أبقى الحوادث والايام من نمر * أسآد سيف صقيل اثره باد
يظل يحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادي

القسم

(القسم) وهو أن يريد الشاعر الحلف على شئ فيأتي في الحلف بما يكون مدحا له أو ما يكسبه فخرا أو يكون هجاء لغيره أو وعيدا أو جاريا مجرى التغزل والترقق فمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعي

بقيت وفري وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافي بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من ذهاب نفوس

وهذه الابيات تضمنت فخرا له ووعيدا لغيره

(وكقول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم)

أكذبت أحسن ما يظن مؤملي * وهدمت ما شادته اسلافي
وعدمت عاداتي التي عودتها * قدما من الاخلاف والاتلاف
وغضضت من ناري ليخفى ضوؤها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي
ان لم أشن على علي خلة * تضحي قذى في أعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يريد الممدوح مدحا كقول القائل

ان كان لي أمل سواك أعده * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

ومما جاء من القسم في النسيب قول الشاعر

جني وتجني والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجني علي كما يجني
فان لم يكن عندي كعيني ومسمعي * فلا نظرت عيني ولا سمعت أذني

ومما جاء منه في الغزل قول الآخر

لا والذي سل من جفنيه سيف ردى * قدت له من عذاريه حمائله
ما صارمت مقلتي دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبي بلابله

الاستدراك

(الاستدراك) وهو على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فمن أمثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

ولابن الدويدة فيمن أودعت عنده وديعة فادعى ضياعها

ان قال قد ضاعت فصدق انها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
أوقال قد وقعت فصدق انها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومن هذا الباب قول الارجانى وهو لطيف جدا

غالطتنى اذ كست جسمى ضنى * كسوة أعرت من الجلد العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

وأما القسم الثانى الذى لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد فمثل قول زهير

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

المؤتلفة والمختلفة

(المؤتلفة والمختلفة) هى أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة لا تنقص بها مدح الآخر فيأتى لاجل الترجيح بمعان تخالف التسوية كقول الخنساء فى أخيها وقد أرادت مساواته بأبيه مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها قدر الولد

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
وهما وقد برزا كانهما * صقران قد حطا الى وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
أولى فاولى ان يساويه * لولا جلال السن والكبر

وأول من سبق الى هذا المعنى زهير بقوله

هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

وتداول الناس هذا المعنى فقال أبو نواس

ثم جرى الفضل فانثنى قدما * دون مداه بغير ترهيق
فقيل راشا سهما ترادبه الغاية والنصل سابق الفوق

التفريق المفرد

(التفريق المفرد) هو كقول الشاعر

ما نوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

*(الجمع

الجمع مع التفريق

(الجمع مع التفريق) هو أن يشبه شيئين بشئ ثم يفرق بين وجهى الاشتباه كقول الشاعر

فوجهك كالنار فى ضوئها * وقلبى كالنار فى حرها

التقسيم المفرد

(التقسيم المفرد) هو أن يذكر قسمة ذات جزأين أو أكثر ثم يضم الى كل واحد من الاقسام ما يليق به كقول ربيعة الرقى

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد من أمواله غير سالم
فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى العبسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

(ومنه قول ابن حيوس)

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

(وقول آخر)

للمتمسى الحاجات جمع ثنائه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب الرحمى وللخائف الامن

ويجوز أن يعد هذا من الجمع مع التقسيم وكقول بعض العجم

أديبان فى بلخ لا يأكلان * اذا صحبا المرء غير الكبد
فهذا طويل كظل القنا * وهذا قصير كظل الوتد

الجمع مع التقسيم

(الجمع مع التقسيم) وهو اما أن يجمع أمورا كثيرة تحت حكم ثم يقسم بعد ذلك أو يقسم ثم يجمع مثال الاول قول المتنبى

حتى أقام على أرباض خرشنة * يشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فجمع فى البيت الاول أرض العدو وما فيها من معنى الشقاوة ثم فى البيت الثانى ذكر التقسيم

(ومثال الثانى قول حسان)

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الحوادث فاعلم شرها البدع

التزاوج

(التزاوج) هو أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

اذا ما نهى الناهى ولج بى الهوى * أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

السلب

(السلب والايجاب) هو ان يوقع الكلام على نفى شئ واثباته فى بيت واحد كقوله

وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

(وكقول الشماخ)

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها * ويملأ منها كل حجل ودملج

الاطراد

(الاطراد) وهو أن يطرد الشاعر اسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفا لانها لا تكون

الاسماء آ بانه تأتى منسوقة غير منقطعة من غير ظهور كلفة على النظم كاطراد الماء اسهولته وانسجامه كقول الاعشى

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت الذى ترجو حباء لـ وائل

وأحسن منه قول دريد لكون الاسماء المطردة جاءت فى عجز البيت

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذؤاب ابن أسماء بن زيد بن قارب

ويقال ان عبد الملك بن مروان قال لما سمع هذا البيت لولا القافية بلغ به آدم وقال ابن أبى الاصبع وقد أربى على هؤلاء بعض القائلين

من يكن رام حاجة بعدت عنه وأعيت عليه كل العياء

فلها أحمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

ولم يقع فيهما التضمين والفصل بين الاسماء بلفظة المرجى وكتب شيخنا مجد الدين بن الظهير الحنفى على اجازة أجاز ما قد سألوا * بشرط أهل السند

محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد

فلم يدخل بين الاسماء فى البيت بلفظة أجنبية

التجريد

(التجريد) وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمالها فيه وهو أقسام منها نحو قولهم لى من فلان صديق حميم أى بلغ من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر ومنها نحو قولهم لئن سألت لتسألن به البحر ومنه قول الشاعر

وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغا * بمستلئم مثل العتيق المرجل

أى تعدو بى ومعى من استعدادى للحرب لابس لامة ومنها قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لان جهنم أعاذنا الله منها هى دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل فيها معدا للكفار تهويلا لامرها ومنها نحو قول الحماسى

فلئن بقيت لارحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم

وعليه قراءة من قرأ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وقيل تقدير الاول أو يموت منى كريم والثانى فكانت منها وردة كالدهان وفيه نظر ومنها نحو قوله يا خير من يركب المطى ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا

ونحوه قول الآخر ان تلقنى لا ترى غيرى تناظره * تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد

ومنها مخاطبة الانسان غيره وهو يريد نفسه كقول الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

ومنه قول أبى الطيب لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

ومنه قول الصمة العنبرى

حننت الى دنا ونفسك باعدت * مزارك من دنا وشعبا كما معا

فما حسن أن يأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا

ومنه قول الحيص بيص

الام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر

كتمت بصيت الشعر علما وحكمة * ببعضهما ينقاد صعب المفاخر

أما وأبيك الخير انك فارس الكلام ومحيي الدارسات الغوابر

التكميل

(التكميل) وهو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلام واغراضه ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل كمن أراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم مثلا غير كامل أو بالتأنى دون الحلم ومثال ذلك فى الشعر قول كعب بن سعد الغنوى

حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم فى عين العدو مهيب

قوله اذا ما الحلم زين أهله احتراس لولاه لكان المدح مدخولا اذ بعض التغاضى قد يكون عن عجز وانما يزين الحلم أهله اذا كان عن قدرة ثم رأى أن مدحه بالحلم وحده غير كامل لانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم فى عين العدو مهيب ومن مليح التكميل قول السموأل وما مات منا سيد فى فراشه * ولا طل منا حيث كان قتيل

لان صدر البيت وان تضمن وصفهم بالاقدام والصبر أوهم العجز لان قتل الجميع يدل على الوهن والغلبة فكمله بأخذهم الثار وكل حسنه بقوله حيث كان فانه أبلغ فى الشجاعة ومن ذلك فى النسيب قول كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

لان فى قوله عند موفق تكميلا للمعنى اذ ليس كل من يحاكم اليه موفق ومن التكميل الحسن قول المتنبى أشد من الرماح الهوج بطشا * وأسرع فى الندى منها هبوبا

المناسبة

(المناسبة) وهى على ضربين مناسبة فى المعانى ومناسبة فى الالفاظ فالمعنوية أن يبتدى المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهو كثير فى الكتاب العزيز ومنه قوله تعالى أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدر الآية التى الموعظة فيها سمعية أولم يهد لهم وقال بعد ذكر الموعظة أفلا يسمعون وقال فى صدر الآية التى موعظتها مرئية أولم يروا وقال بعد ذكر الموعظة أفلا يبصرون ومن أمثلة المناسبة المعنوية فى الشعر قول المتنبى

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل فى صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والوبل تناسبا صار البيت به متلاحما ومنه قول ابن رشيق

أصح وأقوى ما رويناه فى الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

فانه وفى المناسبة حقها فى صحة النسبة برواية السيول عن الحيا عن البحر وجعل الغاية فيها جود الممدوح * والمناسبة اللفظية توخى الانسان بكلمات متزنات وهى على ضربين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفات فمن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن

والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون ومن شواهدها فى السنة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رقى به الحسن والحسين رضى الله عنهما أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم لامة ولم يقل ملمة وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية التامة وأما ما جاء فى السنة من المناسبة الناقصة فكقوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم اخلاقا الموطئون أكنافا ومما جمع بين المناسبتين قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك رحمة تهدى بها قلبى وتجمع بها أمرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها الفتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى أسألك اللطف فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء فناسب صلى الله عليه وسلم بين قلبى وأمرى وغائبى وشاهدى مناسبة غير تامة لانها فى الزنة دون التقفية ثم ناسب بين الشهداء والسعداء والنصر على الاعداء مناسبة تامة فى الزنة والتقفية ومن أمثلة المناسبتين قول أبى تمام

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وناسب بين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة ومن ذلك قول البحترى

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

(التفريع) هو أن يصدر المتكلم أو الشاعر كلامه باسم منفى بما خاصة ثم يصف الاسم المنفى بمعظم أوصافه اللائقة به فى الحسن أو القبح ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسب أو غير ذلك يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفى للموصوف كقول الاعشى التفريع

ما روضة من رياض الحسن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

وقول عاتكة المرية

وما طعم ماء أى ماء بعزلة * تحدر من غر طوال الذوائب
بمنعرج من بطن واد تقابلت * عليه رياح الصيف من كل جانب
نفت جرية الماء القذى عن متونه * فليس به عيب تراه بعائب
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه * تقى الله واستحياء بعض العواقب

وأكثر ما يقع الاصل فى بيت وأكثروا التفريع بعد ذلك اما قريب منه واما بعيد وقد وقع الاصل والفرع لأبى تمام فى بيت واحد فى قوله

ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * أشهى الى ناظر من خدها الترب

ومما ورد منه فى النثر قول ابن القاسم فى رسالته التى كتبها الى سبا بن أحمد صاحب صنعاء وأما

حال عبده بعد فراقه فى الجلد فما أم تسعة من الولد ذكور كأنهم عقبان ذكور اخترم منهم ثمانية فهى على التاسع حانية فنادى النذير فى البادية يا للعادية فلما سمعت الداعى ورأت الخيل سواهى أقبلت تنادى ولدها الاناة الاناة وهو يناديها القناة القناة

بطل كأن ثيابه فى سرحه * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

فلما رمقته يختال فى غصون الزرد الموضون أنشأت تقول

أسد أضبط يمشى * بين طرفاء وغيل
لبسه من نسج داود كضحضاح المسيل

عرض له فى البادية أسد هصور كأن ذراعه مسد مضفور

فتطاعنا وتواقفت خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مقنع

فلما سمعت الرعيل برزت من الصرم بصبر قد عيل فسألت عن الواحد فقيل لحده اللاحد

فكرت تبتغيه فصادفته * على دمه ومصرعه السباعا
عبثن به فلم تتركن الا * أديما قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبده تأسفا ولا أعظم كمدا وتلهفا (قال المؤلف) وقلت فى مثل ذلك وما أم طفل قذفها الزمن العنيد ببعض البيد فى أرض موحشة المسالك قليلة السالك كثيرة المهالك قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ بومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك أجلسته الى جنب كثيب هناك ثم ذهبت فى طلب ماء للغلام لئلا يقضى عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير وآثار مطى بوارك تدل على الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعة وكل أعضائها عيون اليه متطلعة فلما شارفت جانب الكثيب رأت ولدها فى فم الذيب

بأكثر منى حسرة وتلهفا * وأكثر منى حرقة وتفجعا
وأغزر دمعا عند ما قيل لى الذى * كلفت به أضحى على البعد مزمعا

وقد سمى بعض المتأخرين هذا القسم النفى والجحود وذكر ابن أبى الاصبع فى التفريع قسما ذكره فى صدر هذا الباب وقال انه هو الذى استخرجه وهو أن يبتدئ الشاعر بلفظة هى اسم أو صفة ثم يكررها فى البيت مضافة الى أسماء وصفات يتفرع عليها جملة من المعانى فى المدح وغيره كقول المتنبى

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء * أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
أنا ابن الفيافى أنا ابن القوافى * أنا ابن السروج أنا ابن الرعان
طويل النجاد طويل العماد * طويل القناة طويل السنان
حديد اللحاظ حديد الحفاظ * حديد الحسام حديد السنان

وفيما ذكره نظر لانه بباب تعداد الصفات أنسب

(نفى الشئ بايجابه) وهو أن يثبت المتكلم شيأ فى ظاهر كلامه وينفى ما هو من سببه مجازا والمنفى فى باطن الكلام حقيقة هو الذى أثبته كقول امرئ القيس نفى الشئ بايجابه

على لاحب لا يهتدى بمناره * اذا ساقه العود النباطى جرجرا

وظاهر هذا الكلام يقتضى اثبات منار لهذه الطريق ونفى به الهداية مجازا وباطنه فى الحقيقة يقتضى نفى المنار جملة والمعنى أن هذه الطريق لو كان لها منار ما اهتدى به فكيف ولا منار لها كما تريد أن تقول لمن تسلبه الخير ما أقل خيرك فظاهر كلامك يدل على اثبات خير قليل وباطنه نفى الخير كثيره وقليله ومن أمثلة هذا الباب أيضا قول الزبير بن عبد المطلب يمدح عميلة بن عبد الدار وكان نديما له

صحبت بهم طلقا يراح الى الندى * اذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره
ضعيف بحث الكاس قبض بنانه * كليل على وجه النديم أظافره

وظاهر هذا أن للممدوح مفاقر لم تحتضره اذا انتشى وان له أظافر تخمش وجه النديم خمشا ضعيفا وباطن الكلام فى الحقيقة نفى المفاقر جملة والاظافر بتة

الايداع

(الايداع) وأكثر الناس يجعلونه من باب التضمين وهو منه الا أنه مخصوص بالنثر وبأن يكون المودع نصف بيت اما صدرا واما عجزا فمنه قول على رضى الله عنه فى جواب كتاب لمعاوية ثم زعمت أنى لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك حتى تكون المعذرة اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

الادماج

(الادماج) هو أن يدمج المتكلم غرضا له فى جملة معنى من المعانى قد نحاه ليوهم السامع أنه لم يقصده وانما عرض فى كلامه لتتمة معناه الذى قصده كقول عبد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين ورد للمعتضد وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله فكتب الى ابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا * وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا ان المهم المقدم

فأدمج شكوى الزمان فى ضمن التهنئة وتلطف فى المسألة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال

سلامة الاختراع

(سلامة الاختراع) وهو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبعه أحد فيه كقول عنترة فى الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

وكقول عدى بن الرقاع فى تشبيه ولد الظبية

تزجى أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وقول النابغة فى وصف النسور

تراهن خلف القوم زورا عيونها * جلوس الشيوخ فى مسوك الارانب

وكقول السيد الحميرى فى علىّ عليه السلام

لكن أبو حسن الله أيده * ما زال عند اللقا للطعن معتادا
اذا رأى معشرا حربا أنامهم * انامة الريح فى أبياتها عادا

ومن اختراعات المحدثين قول أبى تمام

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

وقوله

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وقول ابن الحجاج

ترانى والمولى الذى أنا عبده * طريقان فى أمر له طرفان

بعيد

بعيد اترانى منه أقرب ما ترى * كأنى يوم العيد من رمضان

حسن الاتباع

(حسن الاتباع) وهو أن يأتى المتكلم الى معنى قد اخترعه غيره فيتبعه فيه اتباعا يوجب له استحقاقه اما باختصار لفظه أو قصر وزنه أو عذوبة نظمه أو سهولة سبكه أو ايضاح معناه أو تتميم نقصه أو تحليته بما توجبه الصناعة أو بغير ذلك من وجوه الاستحقاق كقول شاعر جاهلى فى صفة جمل

وعود قليل الذنب عاودت ضربه * اذا هاج شوقى من معاهدها ذكر
وقلت له تختار و يحك غمرة * لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر

فأحسن ابن المعتز اتباعه فى هذا المعنى حيث قال يصف خيله

وخيل طواها السير حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل
صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

ومن حسن الاتباع اتباع أبى نواس جريرا فى قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

حيث قال ونقل المعنى من الفخر الى المدح

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

ومن أحسن الاتباع قول منصور الفقيه المصرى فى شريف كانت أمه أمة وكان يهاجيه

من فاتنى بأبيه * ولم يفتنى بأمه * ورام شتمى ظلما * سكت عن نصف شتمه

فانه اتبع فيه قول عنترة

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

ومن هذا الباب قول ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدى عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتم لم تحفظوا المودة * ذماما فكونوا الا عليها ولا لها
قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

فاتبعه الخفاجى حيث قال

أعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة
وتخذتكم لى جنة فكأنما * نظر العدو مقاتلى من جنتى
فلانفضن يدىّ يأسا منكم * نفض الانامل من تراب الميت

ومن ذلك قول النميرى فى أخت الحجاج

فهن اللواتى ان برزن قتلننى * وان غبن قطعن الحشا حسرات

فاتبعه ابن الرومى فقال

ويلاه ان نظرت وان هى أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

المدح فى معرض الذم

(المدح فى معرض الذم) هو أن يقصد المتكلم ذم انسان فيأتى بألفاظ موجهة ظاهرها المدح

وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول بعضهم فى بعض الاشراف

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

فان ألفاظ البيت الاول على انفرادها لا تكاد تصلح الا للمدح والبيت الثانى لا يفهم منه مدح ولا ذم بل هو الى باب الادب أقرب فحصل من اجتماعهما معنى لا يوجبه واحد منهما على انفراده ولبعضهم فى الشريف ابن الشجرى

يا سيدى والذى يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر
مافيك من جدك النبى سوى * انك لا ينبغى لك الشعر

العنوان

(العنوان) وهو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ثم يأتى لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة كقول أبى نواس

يا هاشم بن خديج ليس فخركم * بقتل صهر رسول الله بالسدد
أدرجتم فى اهاب العير جثته * لبئس ما قدمت أيديكم لغد
ان تقتلوا ابن أبى بكر فقد قتلت * حجرا بدارة ملحوب بنو أسد
ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
ورب كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى ومن وحد
ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية * عن ثاره وصفات النؤى والوتد

وقد أتى أبو نواس فى هذه الابيات بعدة عنوانات منها قصة محمد بن أبى بكر وقتل حجر أبى امرئ القيس وقتل عمرو بن هند كندة فى ضمن هجو من أراد هجوه وعيرا اهجو بما أشار اليه من الاخبار الدالة على هجاء قبيلته ومثل ذلك قول أبى تمام فى استعطاف مالك بن طوق على قومه

وفدولك فى يوم الكلاب وشققوا * فيه المزاد بجحفل غلاب
وهم بعين أباغ راشوا للعدا * سهميك عند الحارث الحراب
وليالى الثرثار والحشاك قد * جلبوا الجياد لواحق الاقراب
فمضت كهولهم ودبر أمرهم * أحداثهم تدبير غير صواب

ثم قال بعد ذلك

لك فى رسول الله أعظم أسوة * وأجلها فى سنة وكتاب
أعطى المؤلفة القلوب رضاهم * كلا ورد أخاير الاحزاب
والجعفريون استقلت ظعنهم * عن قومهم وهم نجوم كلاب
حتى اذا أخذ الفراق بقسطه * منهم وشط بهم عن الاحباب
ورأوا بلاد الله قد لفظتهم * أكنافها رجعوا الى جوّاب
فأتوا كريم الخيم مثلك صافحا * عن ذكر أحقاد وذكر ضباب

فانظر الى ما أتى به أبو تمام فى هذه الابيات من العنوانات من السيرة النبوية وأيام العرب كيوم الكلاب وأخبار بنى جعفر بن كلاب ورجوعهم الى ابن عمهم جوّاب وكقوله أيضا لأحمد بن أبى دوّاد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد

فأثر بين حى بنى جلاح * لظى حرب وحى بنى مصاد
وغادر فى صدور الدهر قتلى * بنى بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان فجر ذلك من الحروب ما تضمنته أبياته

الايضاح

(الايضاح) هو أن يذكر المتكلم كلاما فى ظاهره لبس ثم يوضحه فى بقية كلامه كقوله

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنا والعلم والحلم والجهل

فان هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لاشكل مراده على السامع لجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء فلما قال بعده

فألقاك عن مكروهها متنزها * وألقاك فى محبوبها ولك الفضل

أوضح المعنى المراد وأزال اللبس ورفع الشك

التشكيك

(التشكيك) وهو أن يأتى المتكلم فى كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هى فضلة أو أصلية لا غنى للكلام عنها مثل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين فان لفظة بدين تشكك السامع هل هى فضلة أو أصلية فالضعيف النظر يظنها فضلة لان لفظة تداينتم يغنى عنها والناظر فى علم البيان يعلم انها أصلية لان لفظة الدين لها محامل تقول داينت فلانا المودة بمعنى جازيته ومنه كما تدين تدان ومنه قول رؤبة

داينت أروى والديون تقضى * فماطلت بعضا وأدت بعضا

وكل هذا هو الدين المجازى الذى لا يكتب ولا يشهد عليه ولما كان المراد فى الآية الكريمة تمييز الدين المالى الذى يكتب ويشهد عليه وتبيين أحكامه أوجبت البلاغة أن تقول بدين ليعلم حكمه

القول الموجب

(القول الموجب) وهو ضربان أحدهما أن يقع صفة فى كلام مدع شيأ يعنى به نفسه فيثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له ولا نفيها عنه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالأعز عن فريقهم وبالأذل عن فريق المؤمنين فأثبت الله صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج بصفة العزة ولا لنفيه والثانى حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده بما يحتمله بذكر متعلقه كقوله

قلت ثقلت اذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلى بالايادى
قلت طوّلت قال لى بل تطوّلت * وأبرمت منك حبل الوداد

ومنه قول القاضى الارّجانى

غالطتنى اذ كست جسمى الضنا * كسوة أعرت عن اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

قال المؤلف وقلت فى هذا المعنى وفيه زيادة التنديد

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا

وقالت يعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ومن أحسن ما سمعت فيه قول محاسن الشوا

ولما أتانى العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للحمى قارض

وقد بهتوا لما رأونى شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

القلب

(القلب) منه فى التنزيل قوله تعالى كل فى فلك وربك فكبر وقولهم ساكب كاس وقول عماد الدين الكاتب للقاضى الفاضل سر فلا كابك الفرس وجواب القاضى الفاضل له دام علا العماد والظاهر أن القاضى الفاضل استشهد بها فانها فى أول قصيدة للارجانى مطلعها دام علا العماد ومن ذلك قول الارجانى

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقد بنى الحريرى بعض مقاماته على ذلك

التنديد

(التنديد) وهو أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة أو نكتة مستظرفة يعرض فيها بمن يريد ذمه بأمر وغالب ما يقع فى الهزل فمنه قول أبى تمام فيمن سرق له شعرا

من بنو بحدل من ابن الحباب * من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل من عامر أم من الحا * رث أم من عتيبة بن شهاب

انما الضيغم الهصور أبو الاشبال هتاك كل خيس وغاب

من عدت خيله على سرح شعرى * وهو للحين راتع فى كتابى

يا عذارى الكلام صرتن من بعدى سبايا تبعن فى الاعراب

لو ترى منطقى أسيرا لأصبحت أسيرا ذا عبرة واكتئاب

طال رغبى اليك مما أقاسيه ورهبى يا رب فاحفظ ثيابى

ومن لطيف ما وقع فى ذلك قول شهاب الدين بن الخيمى يعرض بنجم الدين بن اسرائيل لما تنازعا فى القصيدة المعروفة بابن الخيمى وهى يا مطالبا ليس لى فى غيره أرب فقال من قطعة

هم العريب بنجد مذ عرفتهم * لم يبق لى معهم مال ولا نشب

فما ألموا بحى أو ألم بهم * الا أغاروا على الابيات وانتهبوا

لم يبق منطقة قولا يروق لنا * الا شكت ظلمه الاشعار والخطب

الايجال بعد المغالطة

(الايجال بعد المغالطة) هو أن يقصد الشاعر غرضا من ممدوح فيشرط لحصوله شرطا ثم يقدر وقوع ذلك الشرط مغالطة ليستحل به استحقاق مقصوده كقول بعض المحدثين

جاء الشتاء وما عندى لقرته * الا ارتعادى وتصفيقى بأسنانى

فان هلكت فمولانا يكفننى * هبنى هلكت فهبنى بعض أكفانى

الافتنان

(الافتنان) هو أن يأتى الشاعر بفنين متضادين من فنون الشعر ببيت واحد مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فأما ما جمع فيه بين النسيب والحماسة فكقول عنترة

ان تغدفى دونى القناع فاننى * طب بأخذ الفارس المستلئم

وكقول أبى دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

احبك

أحبك يا جنان وأنت منى * محل الروح من جسد الجبان

ولو أنى أقول محل روحى * لخفت عليك بادرة الزمان

ومما جمع بين تهنئة وتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية يعزيه بأبيه ويهنيه بالخلافة

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذى بالملك أصفاكا

لا رزء أصبح فى الاقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

ومن أحسن ما ورد فى ذلك قول أبى نواس للفضل بن الربيع يعزيه فى الرشيد ويهنيه بالامين

تعز أبا العباس من خير هالك * بأكرم حى كان أو هو كائن

وفى الحى بالميت الذى غيب الثرى * فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

وأمثلة ذلك كثيرة والكاتب أشد احتياجا اليه من غيره ومن أمثلة ذلك ما كتبته تهنئة وتعزية لمن رزق ولدا ذكرا فى يوم ماتت له فيه بنت ولا عتب على الدهر فيما اقترف فقد أحسن الخلف واعتذر بما وهب عما سلب فعفى الله عما سلف

الابهام

(الابهام) وهو أن يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين كقول بعض الشعراء فى الحسن بن سهل لما تزوج المأمون بابنته بوران

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن * يا امام الهدى ظفرت ولكن ببنت من

فلم يعرف مراده ببنت من هل هو فى الرفعة أو الضعة ومنه قول بشار فى خياط أعور اسمه عمرو

خاط لى عمرو قباء * ليت عينيه سواء

فانه أبهم المعنى فى الدعاء له بالدعاء عليه

حصر الجزئى والحاقه بالكلى

(حصر الجزئى والحاقه بالكلى) هو كقول السلامى

اليك طوى عرض البسيطة جاهل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر

وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

فأما حصر أقسام الجزئى فان العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك وأما جعله الجزئى كليا فلأن الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وقد نظم هذا المعنى جماعة وهذه الابيات من أحسنها

المقارنة

(المقارنة) وهو أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة أو غير ذلك من المعانى بوصل يخفى أثره الا على مدمن النظر فى هذه الصناعة وأكثر ما يقع ذلك بالجمل الشرطية كقول بعض شعراء المغرب

وكنت اذا استنزلت من جانب الرضى * نزلت نزول الغيث فى البلد المحل

وان هيج الاعداء منك حفيظة * وقعت وقوع النار فى الحطب الجزل

فانه لأم بين الاستعارة والتشبيه المنزوع الأداة فى صدرى بيتيه وعجزهما وأما ما قرنت به الاستعارة بالمبالغة فمثاله قول النابغة الذبيانى

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه * وسيف أعيرته المنية قاطع

فان فى كل من صدر البيت وعجزه استعارة ومبالغة وانما التى فى العجز أبلغ ومما اقترن فيه الارداف بالاستعارة قول تميم بن مقبل

لدن غدوة حتى نزعنا عشية * وقد مات شطر الشمس والشطر مدنف

فانه عبر بموت شطر الشمس عن الغروب واستعار للشطر الثانى المدنف

(الابداع) وهو أن يأتى فى البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من النثر عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جمله وربما كان فى الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بابداع قال ابن أبى الاصبع وما رأيت فيما استقريت من الكلام كآية استخرجت منها احدا وعشرين ضربا من المحاسن وهى قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين وهى المناسبة التامة بين أقلعى وابلعى والمطابقة بذكر الارض والسماء والمجاز فى قوله تعالى يا سماء فان المراد والله أعلم يا مطر السماء والاستعارة فى قوله تعالى أقلعى والاشارة فى قوله تعالى وغيض الماء فانه عبر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة والتمثيل فى قوله سبحانه وقضى الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له والارداف فى قوله تعالى واستوت على الجودى فانه عبر عن استقرارها بهذا المكان استقرارا متمكنا بلفظ قريب من لفظ المعنى والتعليل لان غيض الماء علة الاستواء وصحة التقسيم اذا استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذى ينبع من الارض وغيض الماء الحاصل على ظهرها والاحتراس فى قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك احتراسا من ضعيف العقل يتوهم أن العذاب يشمل من يستحق ومن لا يستحق فأكد بالدعاء كونهم مستحقين والايضاح فى قوله تعالى للقوم ليبين أن القوم الذين سبق ذكرهم فى الآية المتقدمة حيث قال وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه هم الذين وصفهم بالظلم ليعلم أن لفظة القوم ليست فضلة وانه يحصل بسقوطها لبس فى الكلام والمساواة لان لفظ الآية لا يزيد على معناها وحسن النسق لانه سبحانه وتعالى عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب وائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها والايجاز لانه سبحانه وتعالى اقتص القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها بشئ فى أقصر عبارة والتسهيم لان أول الآية الى قوله أقلعى يقتضى آخرها والتهذيب لان مفردات الالفاظ موصوفة بصفات الحسن عليها رونق الفصاحة سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير والتمكين لان الفاصلة مستقرة فى قرارها مطمئنة فى مكانها والانسجام وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وباقى مجموع الآية من الابداع وهو الذى سمى به هذا الباب فهذه الآية سبع عشرة لفظة تضمنت أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها

(الانفصال) وهو أن يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دخل لو اقتصر عليه فيأتى بعده بما يفصله عن ذلك الدخل كقول أبى نواس

ان ابليس أراه * فى الورى عنك يصد

ليس من تقوى ولكن * ثقل فيك وبرد

والفرق بين هذا وبين الاحتراس خلو الاحتراس من الدخل عليه من كل وجه

(التصرف) هو أن يتصرف المتكلم فى المعنى الذى يقصده فيبرزه فى عدة صور تارة بلفظ الاستعارة وطورا بلفظ التشبيه وآونة بلفظ الارداف وحينا بلفظ الحقيقة كقول امرئ القيس يصف الليل

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

فانه أبرز هذا المعنى بلفظ الاستعارة ثم تصرف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال

فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ثم تصرف فيه فأخرجه بلفظ الارداف فقال

كأن الثريا علقت فى نظامها * بأمراس كتان الى صم جندل

ثم تصرف فيه فعبر عنه بلفظ الحقيقة فقال

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وهذا يدل على قوة الشاعر وتمكنه

(الاشتراك) منه ما ليس بحسن ولا بقبيح وهو الاشتراك فى الالفاظ مثل اشتراك الاثير وأبى نواس فى لفظة الاستعفاء فقال الاثير فى مرثية أخيه

وقد كنت استعفى الاله اذا اشتكى * من الاجر لى فيه وان عظم الاجر

وقال أبو نواس ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحسر حتى ما تقل جفونها

ومنه الحسن وهو الاشتراك فى المعنى كقول امرئ القيس

كبكر المقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير محلل

وقول ذى الرمة كحلاء فى برج صفراء فى دعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

فوقع الاشتراك بينهما فى وصف المرأة بالصفرة غير أن الاول شبه الصفرة ببيضة النعامة والآخر بالفضة المموهة بالذهب ومن الاشتراك المعنوى ما ليس بحسن ولا معيب كقول كثير

وأنت الذى حببت كل قصيرة * الىّ وما تدرى بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطى شر النساء البحاتر

فان لفظة قصيرة مشتركة فلو اقتصر على البيت الاول لكان الاشتراك معيبا لكنه لما أتى بالبيت الثانى زال العيب مع أنه ضمنه فبقى البيت بسبب التضمين ناقصا عن رتبة الحسن

(التهكم) منه قول الوجيه الذروى فى ابن أبى حصينة من أبيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * فهى فى الحسن من صفات الهلال

وكذاك القسىّ محدودبات * وهى أنكى من الظبا والعوالى

واذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أىّ جمال

وأرى الانحناء فى مخلب البازى ولم يعد مخالب الرئبال

كون الله حدبة فيك ان شئت من الفضل أو من الافضال

فأنت ربوة على طود علم * وأنت موجة ببحر نوال

ما رأتها النساء الا تمنت * لو غدت حلية لكل الرجال

ثم ختمها بقوله واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى أن تزور نافى الخيال

وكقول ابن الرومى فياله من عمل صالح * يرفعه الله الى أسفل

والفرق بين التهكم والهزل الذى يراد به الجد ان التهكم ظاهره جد وباطنه هزل والهزل الذى به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدا

التدبيج

(التدبيج) هو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوانا يقصد الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون فمن ذلك قول الحريرى فى بعض مقاماته فمذ ازور المحبوب الاصفر واغبر العيش الاخضر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وهذا التدبيج بطريق التورية ومن أمثلة هذا الباب قول ابن حيوس الدمشقى

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو قتال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

الموجه

(الموجه) هو أن يمدح بشئ يقتضى المدح بشئ آخر كقول المتنبى

نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد

وكقوله عمر العدو اذا ألفاه فى رهج * أقل من عمر ما يحوى اذا وهبا

فأول البيتين وصف بفرط الشجاعة وآخر الاول بعلو الدرجة وآخر الثانى بفرط الجود

تشابه الاطراف

(تشابه الاطراف) هو أن يجعل قافية بيته الاول أول بيته الثانى وقافية الثانى أول الثالث وهكذا الى انتهاء كلامه ومن أحسن ما سمع فيه قول ليلى الاخيلية تمدح الحجاج

اذا نزل الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

سقاها فرواها بشرب سجالها * دماء رجال يحلبون صراها

وهذا ما اتفق ايراده فى هذا الكتاب من علوم المعانى والبيان والبديع ليتأمله المترشح لهذه الصناعة ويستعمل ذلك فى كلامه مع أن تسمية هذه الانواع تختلف ولا مشاحة فى التسمية كما ذكر قدامة فى كتابه وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة فالاقتباس والاستشهاد والحل على أن منهم من يجعل الاقتباس فى النظم أيضا

الاقتباس

* (فالاقتباس) * أن يضمن الكلام شيأ من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم به كما فى خطب ابن نباتة كقوله فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون مالكم لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وكقوله أيضا يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لجهنم وقودا يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم تجد كل نفس

ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وكقول غيره أتظنون أنكم دون غيركم مخلدون كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وكقول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب وقوله انا آتيكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله ومن ذلك ما أوردته فى تقليد عن الامام الحاكم * وجمع بك شمل الامة بعد ان كاد يزيغ قلوب فريق منهم وعضدك لاقامة امامته بأولياء دولتك الذين رضى الله عنهم وخصك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون وأظهرك على الذين ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (ومن تقليد آخر حاكمى للملك المنصور حسام الدين) وجعل عدوه وان أعرض عن طلبه بجيوش الرعب محصورا وكفاه بالنصر على الاعداء التوغل فى سفك الدماء فلم يسرف فى القتل انه كان منصورا (ومن ذلك فى خطبة صداق) اقتربت به الاباعد واتصلت به الانساب اتصال العضد بالساعد وأحيا الله به الامم وقد قضى حينهم وجمع به بين متفرقين ولو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (وقلت فى توقيع امام) وليعلم انه يكون فى المحراب مناجيا لربه واقفا بين يدى من يحول بين المرء وقلبه * وأمثلة ذلك كثيرة وأما شواهده وأمثلته فى النظم فلم أر أن أذكرها والاقتباس من الحديث كقول الحريرى وكتمان الفقر زهاده وانتظار الفرج بالصبر عبادة (وقوله) شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه والاستشهاد بالآيات مع التنبيه عليها كقول الحريرى فقلت وأنت أصدق القائلين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وفى الاحاديث بالتنبيه عليها أيضا كقولى فى تقليد حاكمى ونصلى على سيدنا محمد الذى استخرجه الله من عنصر أهله وذويه وشرف قدر جده بقوله فيه ان عم الرجل صنو أبيه وسره بما أسر اليه من أن هذا الامر فتح به ويختم ببنيه والامثال ذلك لا تحصر * (وأما الحل) * فهو باب يتسع على المجيد مجاله ويتصرف فى كلام العارف به رويته وارتجاله وملاك أمر المتصدى له أن يكون كثير الحفظ للاحاديث النبوية والآثار والامثال والاشعار لينفق منها وقت الاحتياج اليها وكيفية الحل ان تتوخى هدم البيت المنظوم وحل فرائده من سلكه ثم ترتب تلك الفرائد أو ما شابهها ترتيب متمكن لم يحصره الوزن ولا اضطرته القافية ويبرزها فى أحسن سلك وأجمل قالب وأصح سبك ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع اذا أمكن ذلك من غير كلفة وبتخيرها القرائن واذا تم معه المعنى المحلول فى قرينة واحدة فيضم له من حاصل فكره أو من ذخيرة حفظه ما يناسبه وله ان ينقل المعنى اذا لم يفسده الى ما شاء فان كان نسيبا وتأتى له أن يجعله مديحا فليفعل وكذلك غيره من الانواع واذا أراد الحل بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة لالفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها فمتى قصرت ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعد معيبا واذا حل باللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل الا مع مراعاة نظام الفصاحة فى ذلك واجتناب ما ينقص المعنى أو يحط رتبته وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه وانا أوردنا الآن من أمثلة ذلك ما يقاس عليه ولا حجر على المتصرف فيه * فما وقع التصرف فيه بزيادة على المعنى قول ضياء الدين ابن

الاثير في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير * وهذه لمبتدا ضعف خبر واقوس ظهري وتر واذا كان القاؤها دليلا على الاقامة فان حملها دليل على السفر والمحلول في ذلك قول بعضهم * كانني قوس رام وهي لي وتر * وقول الآخر

فالقت عصاها واستقربها النوى * كما قرعينا بالاياب المسافر

ومما خفي وجه الحل فيه بحسن التصرف قول فخر القضاة بن بصاقة قتيل الجفون الفواتر في سبيل حبه كقتيل السيوف البواتر في سبيل ربه الا أن هذا يغسل بدموعه وهذا يزمل بنجيعه وهذا في حال حياته ميت يرمق وهذا في مماته حي يرزق فلطف التصرف في معنى الحديث في الشهيد وانه يدفن على حاله من غير تغسيل ومعنى الآية في قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون وزاد ضياء الدين الخفاء بقوله دمع المحب ودم القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا أن بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وأما ما يحتاج فيه الى مواخاة القرينة المحلولة بمثلها أو ما يناسبها فكما حللت في تقليد فقلت * فكم مل ضوء الصبح مما يغيره (ثم قلت) وطلامن النقع مما يسيره (وقلت) وحديد الهند مما يلاطمه (ثم قلت) والاجل مما يسابقه الى قبض النفوس ويزاحمه والقرينتان الاوليان نصفا بيتين للمتنبي فاضفت الى كل قرينة ما يناسبها وهذا أكثر ما يستعمل في الكتابة ومع ذلك فالمتصرف في الحل له ان ينقل البيت الذي يقصد حله الى ما شاء من المعاني كما أبين ان شاء الله تعالى وهو ان بيت ابن الرومي في وصف الحديث وهو * وحديثها السحر الحلال لو انه * لم يجز قتل المسلم المتحرز * حللته في وصف السيوف فقلت وكفى السيوف فخرا أنها للجنة ظلال والى النصر مآل واذا كان من بيان الحديث سحر فان بيان حديثها عمن كلمته هو السحر الحلال ثم نقلته الى وصف الاسنة فقلت حسب أسنة الاسنة شرفا أن كشف خبايا القلوب يذم الامنها وأن بث اسرار الضمائر يكره روايته الاعنها فكرر حديثك في ذلك لا يفضي الى ملال واذا لم يكن حسن حديثها الذي يسحر الالباب مما يحل فليس في الحديث سحر حلال * ثم نقلته الى وصف البلاغة فقلت * البلاغة تسحر الالباب حتى تخيل العرض جوهرا وتخيل الهواء المدرك بالسمع لانسجامه وعذوبته في الذوق نهرا لكنه سحر لم يجز قتل المسلم المتحرز فنعما أول في حله واذا كان من الحديث ما هو عقلة للمستوفز فهذا انشوطة نشاط البليغ وحل عقال عقله * ونقلته الى وصف الكتابة فقلت * خطه شرك العقول وفتنة تشغل الناظر بملاحة المرئي المكتوب عن فصاحة المسموع المنقول ولو لم يكن البيان سحرا لما تحسدت منه في طرسه هذه الدرر ولو لم يكن بعض السحر حلالا لما انجلى ظلام النفس عما يهتدي به من هذه الاوضاح والغرر * وقد نوعت لك من حل هذا البيت ما يدلك على انه لا حجر عليك في نقل المحلول الى أي معنى شئت اذا دفعت الى ذلك في الكتابة ووضعت في كل مكان ما يناسبه اذا كان لك ذهن متصرف وملكة مطاوعة ولا ينبغي أن تعتمد في جميع كتابتك على الحل فيتكل خاطرك على ذلك ويذهب رونق الطبع السليم وتقل مادة الانسجام بل يكون استعمال ذلك كاستعمال البديع اذا أتى عفوا من غير تكلف ليكون مثل الشاهد على صحة

الكلام والدال على الاطلاع وكالرقم في الثوب والشذرة في القلادة والواسطة في العقد اذ لا ينبغي ان تخلى كلامك من نوع من أنواع المحاسن ويقرب من ذلك نوع يسمى التلميح وقد تقدم في بعض أبواب البديع ومرادي أن أشير الى ما يقع استعماله في مثل ذلك وهو مثل قول الحريري واني والله لطالما لقيت الشتاء بكافاته وأعددت الاهب له قبل موافاته يشير الى بيتي ابن سكره * جاء الشتاء وعندي من حوائجه * وهي مشهورة ومنه قول أبي بكر بن عبدون في خمرة كانت غدوة طيبة المذاق ثم غدت عشية خلا

ألا في سبيل اللهو كاس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وراحت كجسم الشنفرى بعد ثابت

أراد صهباء بنت بسطام بن قيس وأراد قول الشنفرى يرثي خاله تأبط شرا وهو ثابت بن جابر ابن سفيان فاسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمي بعد خالي لخل

فهذه امور جلية في الحل يتصرف الذهن في أنواعها بحسب قابليته واستعداده * ومما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به اعطاء كل مقام حقه فاذا كتب في أوقات الحروب الى نواب الملك عنه والى مقدمي الجيوش والسرايا فليتوخ الايجاز والالفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيع المقصد ويفصل الكلام بعضه من بعض ولا تهويل لامر العدو يضعف به القلوب ولا تهوين لامره يحصل به الاغترار (فمن ذلك صورة كتاب أنشأته الى مقدم سرية كشف لم أكتب به) وهو لا زال أخف في مقاصده من وطأة ضيف وأخفى في مطالبه من زورة طيف وأسرع في تنقله من سحابة صيف وأروع للعدى في تطلعه من سله سيف حتى يتعجب عدو الدين في الاطلاع على عوراته من أين دهي وكيف ويعلم ان من قسمته الشقاء حصل عليه في مقاصده الحيف أصدرناها اليه مخثه على الركوب بطليعة أعجل من السيل وأهول من الليل وأيمن من نواصي الخيل وأقدم من النمر وأوقع على المقاصد من الغيث المنهمر وأروع في مخاتلة العدى من الذئب الحذر على خيل تجري ما وجدت فلاة وتطيع راكبها مهما أراد منها سرعة أو أناة تتسنم الجبال الصم كالوعل واذا جارتها البروق عدت وراءها تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوجل وليكن كالنجم في سراه وبعد ذراه ان جرى فكسهم وان خطر فكوهم وان طلب فكالليل الذي هو مدرك وان طلب فكالجنة التي لا يجد ريحها مشرك حتى يأتي على عدو الدين من كل شرف ويرى جمعه من كل طرف ولا يسرف في الاقامة عليه الا اذا علم ان الخير في السرف وليحرز جمعهم ويسبق الى التحرز منهم بصرهم وسمعهم وينظرهم بعين منعها الحزم ان ترى العدد الكثير قليلا وصدها العزم ان ترى العدو الحقير جليلا بل ترى الامر على فصه وتروي الخبر على نصه وان وجد مغررا فليأخذ خبره ان قدر على الاتيان بعينه والا فليذهب أثره ولا يؤجج فيما لديه نار حرب الا بعد الثقة باطفائها ولا يوقظ عليه عين عدو مهما ظهر له ان المصلحة في اغفائها وليكشف من امورهم ما يبدي عند الملتقى عورتهم ويخمد في حالة الزحف ثورتهم وليجعل قلبه في ذلك ربيئة طرفه وطليعة طرفه وسرية كشفه والله تعالى يمده بلطفه بمعقبات من بين يديه ومن خلفه

(واذا كتب) عن الملك فى أوقات حركات العدو الى أهل الثغور يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم فليبسط القول فى وصف العزائم وقوة الهمم وشدة الحمية للدين وكثرة العساكر والجيوش وسرعة الحركة وطى المراحل ومعاجلة العدو وتخيل أسباب النصر والوقوف بعوائد الله فى الظفر وتقوية القلوب منهم وبسط آمالهم وحثهم على التيقظ وحضهم على حفظ ما بايديهم من ذلك وما أشبهه ويبرز ذلك فى أبين كلام وأجله وأمكنه وأقربه من القوة والبسالة وأبعده من اللين والرقة ويبالغ فى وصف الانابة الى الله تعالى واستنزال نصره وتأييده والرجوع اليه فى تثبيت الاقدام والاعتصام به فى الصبر والاستعانة به على العدو والرغبة اليه فى خذلانهم وزلزلة أقدامهم وجعل الدائرة عليهم دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم ورجاء تأخرهم وانتظار العرضيات فى خلفهم لما فى ذلك من ايهام الضعف عن لقائهم واستشعار الوهن والخوف منهم (فمن ذلك ما كتبته فى صدر كتاب سلطانى الى بعض نواب الثغر عند حركة العدو) أصدرناها ومنادى النفير قد أعلن يا خيل الله اركبى ويا ملائكة الرحمن اصحبى ويا وفود التأييد والظفار اقربى والعزائم قد ركضت على سوابق الرعب الى العدى والهمم قد نهضت الى عدو الاسلام فلو كان فى مطلع الشمس لاستقربت ما بينها وبينه من المدى والسيوف قد أنفت من الغمود فكانت تنفر من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب فتشوقت الى الارتواء من قلبها والكماة قد زأرت كالليوث اذا دنت فرائسها والجياد قد مرحت لما عودتها من الانتعال بجماجم الابطال فوارسها والجيوش قد كاثرت النجوم اعدادها وسار بها الهجوم على أعداء الله من ملائكته الكرام أمدادها والنفوس قد أضرمت الحمية للدين نار غضبها وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين عن برد الثغور وطيب شنبها والنصر قد أشرقت فى الوجود دلائله والتأييد قد ظهرت على الوجوه مخائله وحسن اليقين بالله فى اعزاز دينه قد أنبأت بحسن المآل أوائله والالسن باستنزال نصر الله لهجة والارجاء بأرواح القبول أرجة والقلوب بعوائد لطف الله بهذه الامة مبتهجة والحماة وما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال وليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه والنيات على طلب عدو الله حيث كان مجتمعه والخواطر مطمئنة بكونها مع الله بصدقها ومن كان مع الله كان الله معه وما بقى الا طى المراحل والنزول على أطراف الثغور نزول الغيث على البلد الماحل والاحاطة بعدو الله من كل جانب وابذال نفوسهم على حكم لامرين الآخرين من عذاب واصب وهم ناصب واحالة وجودهم الى العدم واحالة السيوف التى ان انكرتها أعناقهم فما بالعهد من قدم واصطلامهم على أيدى العصابة المؤيدة بنصر الله فى حربها وابتلائهم من حملاتها بريح عاد التى تدمر كل شئ بامر ربها فليكن مترقبا لطلوع طلائعها عليه متيقنا من كرم الله استئصال عدوه الذى ان فر أدركته من ورائه وان ثبت أخذته من بين يديه وليجتهد فى حفظ ما قبله من الاطراف وضمها وجمع سوام الرعايا من الاماكن المخوفة ولمها واصلاح ما يحتاج الى اصلاحه من مسالك الارباض المتطرفة ورمها فان الاحتياط على كل حال من آكد المصالح الاسلامية وأهمها فكأنه بالعدو وقد زال

طمعه وزاد ظلعه وذم عقباه وتحقق سوء منقلبه ومصيره وتبرأ منه الشيطان الذى دلاه بغروره وأصبح لحمه مودعا بين ذئاب الفلاة وضباعها وبين عقبان الجو ونسوره ثقة من وعد الذى تمكنا منه باليقين وتحققنا ان الله ينصر من ينصره وان العاقبة للمتقين * وزيادة البسط فى ذلك ونقصها بحسب المكتوب اليه (واذا كتب فى التهانى بالفتوح) فليس الا بسط الكلام والاطناب فى شكر نعم الله والتبرى من الحول والقوة الا به ووصف ما أعطى من النصر وذكر ما منح من الثبات وتعظيم ما يسر من الفتح ثم ما وصف بعد ذلك من عزم واقدام وصبر وجلد عن الملك وعن جيشه حسن وصفه فلاق ذكره وراق التوسع فيه وعذب بسط الكلام فيه فانه مترتب على ما قدمناه من نسبة النصر الى واهبه والجلد الى معطيه والثبات الى الموفق له ثم كلما اتسع مجال الكلام فى ذكر الواقعة ووصفها كان أحسن وأدل على البلاغة وأدعى لسرور المكتوب اليه وأحسن لموقع النعمة عنده واشهى الى سمعه وأشفى لغليل شوقه الى معرفة الحال على جليته ولا بأس بتهويل أمر العدو ووصف جمعه واقدامه فان فى تصغير أمره تحقيرا للظفر به * ومما اتفق فى ذلك من المكاتبات فى هذا العصر خاصة ما لا يحصى كثرة وان كان المكتوب اليه ملكا صاحب مملكة منفردة تعين أن يكون البسط أكثر والاطناب أمد والتهويل أبلغ والشرح أتم (فمن ذلك فصل كتبته فى جواب ابن الاحمر صاحب حمراء غرناطة من الاندلس) أما بعد حمد الله الذى أيدنا بجنوده وأنجز لنا من نصر الامة صادق وعوده وخصنا فى استدامة الفتوح بمزايا مزيده وأيدنا بنصره ونصرنا بتأييده والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف رسله وخاتم أنبيائه وأكرم عبيده وأعز من دعا الامم وقد أنكرت خالقها الى الاقرار بتوحيده وعلى آله وصحبه الذين أشرق أفق الدين منهم بكواكب سعوده فانا أصدرناها ونعم الله بنا مطيفة ومواقع نصره عندنا لطيفة وجنود تأييده لممالك الاعداء الى ممالكنا الشريفة مضيفة وثغور الاسلام بذبنا عن دين الله منيرة وباعلائنا منار الهدى منيفة ونحن نحمد الله على ذلك حمدا نستدر به اخلاف الظفر ونستديم به مواد التأييد على من كفر ونستهدى به عوائد النصر التى كم تقدمها علينا اقدام وأسفر لنا عنها وجه سفر ونهدى اليه ثناء تعبق بنشر الرياض خمائله وتنطق بمحض الوداد مخائله ويشرق فى أفق مفاخره غدواته وأصائله يشافه مجده بمصونه ويطارح فخره بمكنونه ويجلو على حضرته العلية عقائل الشرف من ابكار الهناء وعونه ونبدى لعلمه الكريم ورود كتابه الجليل مسفرا عن لوامع صفاته مبينا بجوامع وده ووفائه مشرقا بلآلئ فرائده مجدقا بروض كرمه الذى سعد رأى رائده محتويا على سروره بما بلغه من أنباء النصرة التى سارت بها اليه سرعان الركبان وذلت بعزما تلى عليه منها عبادا الصلبان وطبق ذكرها المشارق والمغارب وخرقت مواكب أعداء الله التتار وهم فى رأى العين أعداد الكواكب وخالطت الترب بدمائهم حتى لم يبح بها التيمم وخرجت بهل الفرات حتى ما تحامى الشارب وهى النصرة التى لا يدرك الوصف كنهها ولا يعرف لها البلاغة مشبها ولا يتسع نطاق النطق لذكرها ولا تنهض الالسنة على طول الابد بشكرها فان التتار المخذولين أقبلوا كالرمال واصطفوا كالجبال وتدفقوا كالبحار

الزواخر وتوالوا كالامواج التى لا يعرف لها الاول من الآخر فصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة بددت شملهم وعلمت الطير أكلهم وحصرتهم فى الفضاء وطالبت أرواحهم الكافرة بدين دينها فاسرفت فى الاقتضاء وحصدت منهم جيوشنا المنصورة ما يخرج عن وصف الواصف ومزقت بقيتهم فى الفلوات فكانوا كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وأحاطت بهم كتائبنا المنصورة فلم ينج الامن لا يوبه له من فريقهم وقسمتهم جيوشنا المؤيدة من الفلوات الى الفرات بين القتل والاسر فلم يخرج عن تلك القسمة غير غريقهم وأعقبتهم تلك الكسرة أن هلك طاغيتهم أسفا وحسرة وحزنا على من قتل من تلك المقاتلة وأسر من تلك الاسرة وأماته الرعب من جيوشنا المنصورة فجاءه واستولى عليه الوجل فجاءه من أمر الله ما جاءه وقعد أخوه بعده مكانه والخوف من عساكرنا تضعضع أركانه والفرق من جيوشنا يفرق أعوانه ويمزق اخوانه ويوهى سلطانه ويبرئ منه شيطانه فلاذ بالالتجاء الى سلمنا وعاذ باسناد الرجاء الى كفنا عنه وحلمنا فكرر رسله ورسائله مستعطفا ووالى كتبه ووسائله مستعفيا من حربنا ومستسعفا وهو الآن وجنوده يتوسلون بالخضوع الى مراحمنا ويتوصلون ببذل الطاعة الى مكارمنا ويسألون صفح الصفاح الاسلامية عن رقابهم ويبدون ما أظهره الله عليهم من الذل الذى جعلته تلك النصرة خالدا فى أعقابهم وسيوفنا تأبى قبول وسائلهم وتصر على نهر رسائلهم وتمتنع من الكف عن مقاتلهم وتأنف أن تغمد الا فى قمم محاربهم ومقاتلهم ونحن على ما نحن عليه من الاهبة لغزوهم فى عقر دارهم وانتزاع مواطن الخلافة وغيرها من ممالك الاسلام من بين يوتهم واظفارهم مستنصرين بالله على من بقى فى خط المشرق منهم قائمين فيهم بفرض الجهاد الذى لولا دفاع الله به لم يمتنع خط المغرب عنهم ولينصرن الله من ينصره ولو عددنا نعم الله علينا حا ولنا عدما لا نحصيه ولا نحصره * وان اضطر أن يكتب بمثل ذلك الى ملك غير مسلم لكنه غير محارب فالحكم فى ذلك أن يذكر من أسباب المودة ما يقتضى المشاركة فى المسار وان أمر هذا العدو مع كثرته أخذ بأطراف الانامل وآل أمره الى ما آل ويعظم ذكر ما جرى عليه من القتل والاسر وتلك عوائد نصر الله لنا وانتقامه ممن عادانا (فمن ذلك) صورة كتاب لبعض ملوك البحر كولم يكتب به وهو صدرت هذه المكاتبة مبشرة له بما منحنا الله من نصره أجزل الصفاء منها سهمه وأكمل الوفاء من التهنئة بها قسمه وخصه الوداد بأجمل أجزائها وأجلسه الاتحاد على أسرة مسرتها اذا أجلس العناد غيره على بساط عزائها علما بأنه الصديق الذى تبهجه مسار صديقه والصاحب الذى يرى مساهمة صاحبه فى بشرى الظفر بأعدائه أدنى حقوقه وذلك انه قد علم ما كان من أمر هؤلاء التتار فى حركاتهم الذميمة وعزماتهم التى ما اختلفوا لها الا وكان آخر سلامتها الهزيمة وصارت التى ما حشدوا لها الا وقنعوا فيها بالاياب من الغنيمة وأنهم ما أقدموا علينا الا وعدموا ولا سلكوا الينا الا وهلكوا حتى أن الارض الى الآن لم تجف من دمائهم وأن الفرات يكاد يكشف للمتأمل عن اشلائهم وأن الشيطان بعد ذلك جدد طمعهم وسكن هلعهم وأنساهم مصارع اخوانهم وأسلاهم بما زين لهم من بلوغ أوطارهم عن أوطانهم وقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وتلك الوقائع التى أصبتم فيها

قد لا يجرى الامر فيها على القياس وحسن لهم المحال وغرهم وجرأهم على قصد البلاد المحروسة وفى الحقيقة واستجرهم فحشدوا جموعهم وجمعوا حشودهم واستفرغوا فى الاستنفار والاستظهار طاقتهم ومجهودهم ومالأهم على ذلك من المجاورين من أبطن شقاقه وكتم نفاقه وأنساه الشيطان ما سلف من تنفيسنا عنه وقد لازم الحتف خناقه ونحن فى ذلك نوسعهم امهالا ونبسط لهم فى التوغل آمالا ونأخذ أمرهم بالاناة استدراجا لهم لا اهمالا الى أن بعدوا عن مواطن الهرب وحصل من استدراجهم الأرب فوثبنا اليهم وثوب الليث اذا ظفر بصيده ونهضنا نحوهم نهوض الحازم اذا وقع عدوه فى أحبولة كيده وصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة فلت غربهم وأبطلت طعنهم وضربهم وصبغت بدمائهم تربهم وحكمت السيوف فى مقاتلهم ومكنت الحتوف من صاحب رأيهم ومقاتلهم وسلطت العدم على وجودهم وحطتهم عن سروجهم الى مصارعهم أو قيودهم فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وعادوا على عادتهم خاسئين ورجعوا على أعقابهم خاسرين وما أغنى عنهم جمعهم ولا أفادهم بصرهم فيما شاهدوه من قبل ولا سمعهم فركن من بقى منهم الى الفرار وعاذ ببرد الهرب من لهيب تلك السيوف الحرار وظن من انهزم منهم أنه فات الرماح فقتلنا وأتته بأرماح من العطش القفار فولوا والرعب يزلزل أقدامهم والذعر يقلل اقدامهم والصفاح تتخطفهم من ورائهم والجراح تطمع الطير فى أكلهم حتى تكاد تقع على أحيائهم حتى أضحوا هشيما تلعب بهم الصبا والدبور أو أحياء يئس منهم أهلهم كما يئس الكفار من أصحاب القبور وصفحنا عمن نافقنا ووافقهم ولولا ذلك ما نجا ورجا عواطفنا فى الابقاء على نفسه وبلاده فأجابه حلمنا وعلمنا أنه فى القبضة الى مارجا فليأخذ الملك حظه من هذه البشرى التى تسر قلب الولى المحب بوادرها وتشرح صدر الصفى المحق مواردها ومصادرها والله تعالى يبهجه عنا بسماع أمثالها ويديم سروره بما جلوناه عليه من مثالها * فان كان المكتوب اليه متهما بممالأة العدو كتب اليه بما يدل على التقريع والتهكم وابراز التهديد فى معرض الاخبار وقد كتبت الى متملك سيس فى ذلك وكان قد شهد الوقعة مع العدو كتابا يتضمن التقريع والتهكم والتهديد (نصه) بصره الله برشده وأراه مواقع غيه فى الاصرار على مخالفته ونقض عهده وأسلاه بسلامة نفسه عمن روعته السيوف الاسلامية بفقده (ومنه) نعرفه أنه قد تحقق ما كان من أمر العدو والذى دلاه بغروره وحمله التمسك بخداعه على مجانبة الصواب فى أموره وأنهم استنجدوا بكل طائفة وأقدموا على البلاد الاسلامية بنفوس طامعة وقلوب خائفة وذلك بعد أن قاموا مدة يشترون المخادعة بالموادعة ويسرون المصارمة فى المسالمة ويظهرون فى الظاهر أمورا ويدبرون فى الباطن أمورا ويعدون كل طائفة من أعداء الدين ويمنونهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وكنا بمكرهم عالمين وعلى معاجلتهم عاملين وحين تيسر فرادهم وتكمل احتشادهم استدرجناهم الى مصارعهم واستجررناهم ليقربوا فى القتل من مضاجعهم ويبعدوا فى الهرب عن مواضعهم وصدمناهم بقوة الله صدمة لم يكن لهم بها قبل وحملنا عليهم حملة ألجأتهم طوفانها الى ذلك الجبل وهل يعصم من أمر الله جبل فحصرناهم

في ذلك الفضاء المتسع وضايقناهم كما قد رأى ومزقناهم كما قد سمع وأنزلناهم على حكم
السيف الذي نهل من دمائهم حتى روى وأكل من لحومهم حتى شبع وتبعتهم جيوشنا المنصورة
تتخطفهم رماحها وتتلقفهم صفاحها ويبددهم في الفلوات رعبها ويفرقهم في القفار
طعنها المتدارك وضربها ويقتل من فات السيوف منهم العطش والجوع ويخيل للحي
منهم أن وطنه كالدنيا التي ليس للميت اليها رجوع ولعله قد رأى من ذلك فوق ما وصف عيانا
وتحقق من كل ما جرى ما لا يحتاج أن نزيده به علما ولا نقيم له برهانا وقد علم أن أمر هذا العدو
المخذول ما زال معنا على هذه الوتيرة وأنهم ما أقدموا الا ونصرنا الله عليهم في مواطن كثيرة
وما ساقتهم الاطماع في وقت ما الا الى حتوفهم ولا عاد منهم قط في وقعة الا آحاد تخبر عن
مصارع ألوفهم ولقد أضاع الحزم من حيث لم يستدم نعم الله عليه بطاعتنا التي كان في مهاد
أمنها ووهاد عيشها وحماية عفوها وبردرأفتها التي كدرها بالمخالفة بعد صفوها يصون
رعاياه بالطاعة عن القتل والاسار ويحمي أهل ملته بالحذر عن الحركات التي ما نهضوا اليها
الا وجروا ذيول الخسار ولقد عرض نفسه وأصحابه لسيوفنا التي كان من سطواتها في أمان
ووثق بما ضمن له التتار من نصره وقد رأى ما آل اليه أمر ذلك الضمان وجر لنفسه
بموالاة التتار عناء كان عنه في غنى وأوقع روحه بمظاهرة المغول في حومة السيوف التي
تخطفت أولياءه من هنا ومن هنا واقتحم بنفسه موارد هلاك سلبت رداء الأمن عن منكبيه
واغتر هو وقومه بما زين لهم الشيطان من غروره فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وما هو
والوقوف في هذه المواطن التي تتزلزل فيها أقدام الملوك الاكاسرة وأنى لضعاف النقاد قدرة
على الثبات لوثبات الاسود الضارية والليوث الكاسرة لقد اعترض بين السهم والهدف
بنحره وتعرض للوقوف بين ناب الاسد وظفره وهو يعلم أننا مع ذلك نرعى له حقوق طاعة
أسلافه التي ماتوا عليها ونحفظ له خدمة آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في التوصل اليها
ونجريه أهل بلاده مجرى أهل ذمتنا الذين لا نيئسهم من عفونا مهما استقاموا ونسلك بهم
حكم من في أطراف البلاد من رعايانا الذين هم في قبضتنا نزحوا أو أقاموا ونحن نتحقق أنه
ما ينسى ملازمة ربقة الحتف خناقه ولا يورد نفسه موارد الهلاك وهل يرجع الى الموت من
ذاقه فيستدرك باب الانابة قبل أن يغلق دونه ويصون نفسه وأهله قبل أن تبتذل السيوف
الاسلامية مصونه ويبادر الى الطاعة قبل أن يبذلها فلا تقبل ويتمسك بأذيال العفو قبل
أن ترفع دونه فلا تسبل ويعجل بحمل أموال القطيعة والا كان أهله وأولاده في جملة ما يحمل
منها الينا ويسلم مفاتح ما بدا عليه من فتوحنا والا فهو يعلم أنها وجميع ما تأخر في بلاده بين
يدينا ويكون هو السبب في تمزق شمله وتفرق أهله وقلع بيته من أصله وهدم كنائسه
وابتذال نفسه ونفائسه واسترقاق حرمه واستخدام أولاده قبل خدمه واستقلاع قلاعه
واحراق ربوعه ورباعه وتعجيل رؤية ما وعد به قبل سماعه ومن لنا زان بأن يجاب الى مثل
ذلك أو يسمح له من الامن من سيوفنا ببعض ما في يده من الممالك لينتفع بما أبقت
جيوشنا المؤيدة في يده من الحيل والحول ويعيش في الامن ببعض ما نسمح له به ومن للعور

بالحول والسيوف الآن مصغية الى جوابه لتمسك ان أبصر سبل الرشاد أو تتعوض برؤس
حماته وكماته عن الاغماد ان أصر على العناد والخير يكون * ومما يحسن بسط الكلام
فيه ويكون الكاتب مطلق العنان مخلى بينه وبين فصاحته موكولا الى اطلاعه وبلاغته
ما يتضمن ذكر أوصاف الخيل والجوارح والسلاح وآلات الحرب وأنواع الرياضات من الصيد
ورمي البندق ولعب الكرة (فمن ذلك كتاب أنشأته في أوصاف الخيل ولم يكتب به على وجه
امتحان الخاطر وهو) وننهي وصول ما أنعم به من الخيل التي وجد الخير في نواصيها وادخرت
صهواتها حصونا يعتصم في الوغا بصياصيها فمن أشهب غطاه النهار بحلته وأوطأه الليل على
أهلته يتموج أديمه ريا ويتأرج ريا ويقول من استقبله في حلي لجامه هذا الفجر قد طلع
بالثريا ان التفت المضايق انساب انسياب الايم وان انفرجت المسالك مر مرور الغيم
كم أبصر فارسه يوما أبيض بطلعته وكم عاين طرف السنان مقاتل العدى في ظلام النقع بنور
أشعته لا يستن داحس في مضماره ولا تطمع الغبراء في شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه
بسوى آثاره تسابق يداه مرامي طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا من عطفه ومن أدهم
حالك الاديم حالي الشكيم له مقلة غانية وسالفة ريم قد ألبسه الليل برده وأطلع بين
عينيه سعده يظن من نظر الى سواد طرته وبياض حجوله وغرته أنه توهم النهار نهر فخاضه
وألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك المخاضة لين الاعطاف سريع الانعطاف يقبل
كالليل ويمر كجلمود صخر حطه السيل يكاد يسبق ظله ومتى جارى السهم الى غرض
بلغه قبله ومن أشقر وشاه البرق بلهبه وغشاه الاصيل بذهبه يتوخش مالديه برقيقتين ٢
ينفض وفرتيه عن عقيقتين وينزل عذار لجامه بين سالفتيه على شقيقتين له من الراح
لونها ومن الرياح لينها ان جرى فبرق خفق وان أسرع فهلال على شفق لو أدرك أوائل
حرب بني وائل لم يكن للوجيه وجاهة ولا للنعامة نباهة ولكان ترك اعارة سكاب اثما
وتحريم بيعها سفاهة يركض ما وجد أرضا واذا اعترض به راكبه بحرا وثب به عرضا ومن
(كميت) نهد كأن راكبه في مهد عندمي الاهاب شمالي الذهاب يزل الغلام الخف عن
صهواته وكأن نغم الغريض ومعبد في لهواته قصير المطا فسيح الخطا ان ركب لصيد قيد
الاوابد وأعجل عن الوثوب الوحش الاوابد وان جنب الى حرب لم يزور من وقع القنا بلبانه
ولم يشك لو علم الكلام بلسانه ولم يردون بلوغ الغاية وهي غرض راكبه ثانيا من عنانه
وان سار في سهل اختال براكبه كالثمل وان أصعد في جبل طار في عقابه كالعقاب وانحط
في مجاريه كالوعل متى ما ترق العين فيه تسهل ومتى أراد البرق مجاراته قال له الوقوف عند
قدره ما أنت هناك فتمهل ومن حبشي أصفر يروق العين ويشوق القلب مشابهته العين
كأن الشمس ألقت عليه من أشعتها جلالا وكأنه نفر من الدجى فاعتنق منه عرفا واعتاق
أحجالا ذي كفل يزين سرجه وذيل يسد اذا استدبرته منه فرجه قد أطلعته الرياضة على
مراد فارسه وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوشيع ملابسه له من البرق
خفة وطئه وخطفه ومن النسيم لين مروره ولطفه ومن الريح هزيزها اذا ما جرى شأوين



وابتل عطفه يطير بالغمز ويدرك بالرياضة مواقع الرمز ويعدو كالف الوصل فى استغناء مثلها عن الهمز ومن (أخضر) حكاه من الروض تفويفه ومن الوشى تقسيمه وتأليفه قد كساه النهار والليل حلتى وقار وسنا واجتمع فيه من السواد والبياض ضدان لما اجتمعا حسنا ومنحه البازى حلة وشيه ونحلته الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفة مشيه يعطيك أفانين الجرى قبل سؤاله واما لم يسابقه شئ من الخيل أغراه حب الظفر بمسابقة خياله كأنه تفاريق شيب فى سواد عذار أو طوالع فجر خالط بياضه الدجى فما يجلى ومازج ظلامه النهار فما أنار يختال لمشاركة اسم الجرى بينه وبين الماء فى السير كالسيل ويدل بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البرقية من الخيل ويكذب المانوية لتولد اليمن بين اضاءة النهار وظلمة الليل ومن (أبلق) ظهره حرم وجريه ضرم ان قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها عدم وان صرف فى حرب فعمله مايشاء البنان والعنان وفعله ماتريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدى لونه ودلت على اجتماع النقيضين علة كونه وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار وأخذ وصف حلتى الدجى فى حالتى الابدار والسرار لاتكل مناكبه ولا يضل فى حجرات الجيوش راكبه ولا يحتاج ليله المشرق بمجاورة نهاره الى أن تسترشد فيه كواكبه ولا يجاريه الخيال فضلا عن الخيل ولا يمل السرى الا اذا كل مشبهاه النهار والليل ولا تمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الاثر فان جهدت فبالذيل فهو الابلق الفرد والجواد الذى لمجاريه العكس وله الطرد قد أغنته شهرة نوعه من جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها فى الاعتراف له جادة الانصاف فترقى الملوك الى رتب العزم من ظهورها وأعدها لخطبة الجنان اذا الجهاد دعا بها من أنفس مهورها وكاف بركوبها فكلما أكمله عاد وكلما أمله شره اليه فلو أنه زيد الخيل لما زاد ورأى من آدابها مادل على أنها من أكرم الاصائل وعلم أنها اليوم سلمه وحربه جنة الصائد وجنة الصائل وقابل احسان مهديها بثنائه ودعائه وأعدها فى الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه والله تعالى يشكر بره الذى أفرده فى الندى بمذاهبه وجعل الصافنات الجياد من بعض مواهبه (ومن ذلك ماقلته فى وصف السيف من تقليد) وقلدته منها مننا سيفا تلمع مخائل النصر من غمده وتشرق جواهر الفتح فى فرنده واذا سابق الاجل الى قبض النفوس عرف الاجل قدره فوقف عند حده ومتى جرده على ملك من ملوك العدى وهت عزائمه وعجز جناح جيشه أن تنهض به قوادمه وعلم أنه سيفنا الذى على عاتق الملك الاعز نجاده وفى يد جبار السموات قائمه (ومن ذلك صورة كتاب يتضمن ذكر الصيد ووصف الجوارح والضوارى وهو) لازال يمينه يستنزل العصم من معاقلها ويسمع السهام الصم ماتحدث به حركات الطير عن مقاتلها ويلجئ صوادى الوحش الى سيوف أوليائه تشبيها لترقرق ماء الفرند فيها بمناهلها وينهى انه سار الى الصيد متيمما وجه اقباله متيمنا بسعده الذى مابرح يعتلق بحباله ومعه من الجوارح كل باز شديد الاسر صحيح على ما اتصف به من الكسر ينظر من نهار ويخطر فى ليل رقم به أديم نهار ذى صدر مدبج ورأس متوج

ومخالب

ومخالب خطوف ومنسر كصدغ معطوف أسرع من هوج الرياح وأمضى من غوج الصفاح يحط على الطير من عل ويسبق الى مقاتل الوحش كل رام من بنى ثعل ومن الضوارى كل حام أسبق من السهم وأخفى عند الوثبة من الوهم ذى خصر مجدول وساعد مفتول وأنياب عصل وظفر أقطع من نصل ومن الفهود كل أهرت الشدق ظاهر الحذق بادى العبوس مدثر الملبوس شثن البراثن ذى أنياب كالمدى ومخالب كالمحاجن قد أخذ من الفلق والغسق اهابا وتقمص من نجل الحدق جلبابا يضرب المثل فى سرعة وثوب الاجل به وبشبهه وتكاد الشمس مذلقبوها بالغزالة من الوجل لاتطلع على وجهه يسبق الى الصيد مرامى طرفه ويفوت لحظ مرسله اليه فلا يستكمل النظر الا وهو فى كفه وتتقدمه الضوارى الى الوحش فاذا وثب له تعثرت من خلفه ومعنا غلمة نحن بسهامهم منها أوثق وهم باصابة شوا كل المراد من كل ماذكر أحذق اذا حسر كل منهم عن جبينه أرانا القمر فى القوس وان نظم رميته قبل هذا حبيب وان لم يكن ابن أوس فالاح طائر الاوله من السهام أجل ووراءه من زجل الجوارح وجل ان أخطأه ذا أصاب ذاك وربما كان لهما استهام فى تحصيله واشتراك وان سنح وحش فالسهام أدنى الى وريده من قلادة جيده فان فات فالكلاب أعرف باختلاسه منه بكناسه وأسرع الى احتباسه من رجع أنفاسه والا فالفهد أسرع الى لحاقه من أجله وألزم لعنقه لو كان يعقل من عمله فظللنا بين قدير معجل أوقديد مؤجل نمش باعراف الجياد كفوفنا وتقرى من صواف الطير وأصناف الوحش ضيوفنا وبتنا بين صيد تحصل وآخر يترقب وغدونا وكان عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب وقد أرسلنا اليه من ذلك مايتحقق به أن يمنه أمارنا وأورى نارنا ويستدل به على حسن ظفرنا فى سفرنا وانارة توفيقنا فى طريقنا والله تعالى لايخلى منه مكان تأييد ويبلغه من السعادة فوق مايريد بمنه وكرمه (ومن ذلك ماقلته فى صفة حصن) قد تقرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسا أصله فى التخوم تخال الشمس اذا علت أنها تتنقل فى أبراجه ويظن من سما الى السها أنه ذبالة فى سراجه لايعلوه من مسمى الطير غير نسر الفلك ومرزمه ولا يرمق متبرجات بروجه غير عين شمسه والمقل التى تطرف من أنجمه وحوله من الجبال كل شامخ تتهيب عقاب الجو قطع عقابه وتقف الرياح حسرى اذا توقلت فى مصابه تخاف العيون اذا رمقته سلوك مادونه من المحاجر ويتخيل الفكر صورة الترقى اليه ثم لايبلغها حتى تبلغ القلوب الحناجر وحوله من الاودية خنادق لاتعلم منها الشهور الا بانصافها ولاتعرف فيها الاهلة الا بأوصافها وطالما شحت الاحلام أن تخيل فتحه لمن سلف فى المنام فكم ذى جيوش قد أمات بغصة وذى سطوات أعمل فى أمره الفكر فلم يفز من نظره على البعد بفرصه (ومن ذلك فى وصف جيش) وسرنا بالجيش الذى لايدرك الطرف حده ولا الوهم عده فكان ذوائب السحائب عذب بنوده وكان شوامخ الآكام مناكب أبطاله ومواكب جنوده وماقصد عدوا الا وبازاهم قبل خيله خياله وقضى عليهم وعده ووعيده قبل أن ترهف أسنته أو ترعف ذباله واذا لمع

حديده وخفقت عذباته وبنوده قيل هذا غمام تلهبت بوارقه ودمدمت صواعقه أو بحر تلاطمت أمواجه وقذف الشرر ماؤه وأجاجه أو سيل غصت به فجاجه وعكس أشعة الشمس اضطرابه وارتجاجه وماعلا جبلا الا وألحق صعوده اليه حزنه بالصعيد وما منع الريح مواجهته الا ليسمع صهيل خيله من أقصى الروم من أقصى الصعيد (ومن ذلك) ماذكرته في وصف العدو بالذلة والخور والوهن في قتاله وما يظهرونه من الرهج بالحركة واعداد الاهبة والاحتشاد وهو * وأما رهج العدو المخذول بالحركة ورمي الصيت بها فان عدته الصياح وقوة الجبان في القول والقول يذهب في الرياح وقد علموا أنهم ما أقدموا الا وكان أحد سلاحهم الهرب ولا طمعوا في النجاح فكان لهم في غير النجاة أرب يبالغون في الاحتشاد والجازر لا يهوله كثرة الغنم ويستكثرون من السواد وجنود من لا ينفع أشبه شئ بالعدم فقوتهم ضعيفة ووطأتهم خفيفة وثباتهم أقصر من حل العقال وصبرهم أسرع من الظل في الانتقال وخيولهم لا تطيع أمر أعنتها الا في الفرار ورماحهم لا تحمل نصل أسنتها الا للخور والانكسار وسهامهم لا تهدلها بالمقاتل وصفاحهم كل شئ من القضب غيرها يمكن وصفه بانه قاتل فان دلاهم الشيطان بغروره فسيرا منهم سريعا وان أطمعهم في اللقاء فسترد هم كلام سيوفنا كاقسام الكلام الثلاثة هزيما وأسيرا وصريعا (ومن ذلك في وصف الرمي بالنشاب من خطبة) وبعد فان الرمي أفضل ما أعد للعدى وأكمل ما أفيض به على أهل الكفر رداء الردى وأبلغ ما يبعث الى المقاتل من رسل المنون وأنفع ما يقتضى به في الوغا من أعداء الدين الديون وأسرع ما تبلغ به المقاصد فيما يرى قريبا وهو أبعد ما يكون وأنكى ما تقذف به عن الاهلة شهب الحتوف وأسبق ما تدرك به الاغراض قبل ان تعرف بها الرماح أو تستقر بمكانها السيوف ما طلع في سماء النقع قوسه الا سح وبل النبل ولا استبقت الآجال وسهمه الا وكان له من بلوغها السبق من بعد والسبق من قبل ومن شرف قدره الذي دل عليه كلام النبوة ان النبي صلى الله عليه وسلم نبه على أنه المراد بقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن أسباب فضله التي أصبح بها قدره ساميا وفخره ناميا وقطره في أفق النصر هاميا ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لفتية ممن أسلم من أسلم ارموا يا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا ومما عظمت به على الامة المنة وغدت فيه نفوس أهل الجهاد بالفوز في الدنيا والآخرة مطمئنة قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا الرمي فان ما بين الغرضين روضة من رياض الجنة ومن فضل الرمي الذي لا يصرفه التأويل ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم من رمى بسهم في سبيل الله أخطأ أو أصاب فكانما أعتق رقبة من ولد اسمعيل ومما يرفع قدر السهم على غيره ويفضله ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من أنه يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير وراميه ومنبله ومما حضهم به على الرمي ليجتهدوا فيه ويدأبوا قوله صلى الله عليه وسلم ارموا واركبوا وان ترموا أحب الي من أن تركبوا ومن خصائص السهم أنه ذو خطوة في الهواء وحكم نافذ في الدماء وتصرف حتى في الوحش السائح في الارض والطير المحلق في السماء بكم بلسان من

حديد ويبطش عن باع مديد ان رام غرضا طار اليه باجنحة النسور وان حمى معلما أضاف الحدق وحمى الثغور يوجد نصره حيث فقد واذا انفصل عن أمه لم يسر من كبد الا الى كبد اتحد فعله على ما فيه من اختلاف الطباع وشرفت أجناسه بكونها أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ومن خصائص القوس أنها عقيم ذات بنين صامتة وهي ظاهرة الانين لها كبد وهي غير مجوفة ويد لا تملك شيأ وهي في الارواح متصرفة ورجل ما نقلت قدما وقبضة ما عرفت أثرا ولا عدما فهي نون ما ألف الماء وهلال ما سكن السماء وقاتلة ما باشرت الدماء ولما كان أهل هذه الفضيلة يتفاوتون في مواهبها ويتباينون في مذاهبها ويبلغ أحدهم بصنعته ما يبلغه الآخر بقواه ويصل باتقانه الى ما لا يدركه مع وجود التساوي سواه وكان فلان ممن له في هذا الشأن الباع المديد والساعد السديد والاتقان الذي يتصرف به في الرمي كيف شاء ويضع سهمه حيث يريد كانما سهمه بذرع الفضاء موكل أو للجمع بين طرفي الارض مؤهل أو لاستبرق البروق مسدد اذا خطرت في حواشي السحاب المفوفة وخطر في سداد الدمقس المفتل وله المواقف التي تشق بسهامه فيها الشعر ويبلغ بها من الاغراض المتباعدة ما يشق ادراكه على النظر فهنا انه فعل كذا وكذا (ومن ذلك في وصف كتاب) وهذا فلان قد آتاه الله في بلاغته الحكمة وفصل الخطاب ومكنه من أزمة جياد المعاني فهي تجري بامره رخاء حيث أصاب ومنحه فضيلتي العمل والعلم فاذا كتب أخذت الارض زخرفها وازينت واذا قال قال الذي عنده علم من الكتاب (ومن ذلك رسالة انشأتها في البندق تشتمل على أنواع من الاوصاف وفنون من النثر والنظم يستعين بها الكاتب على ما يشاء من انشاء قدمه في أي نوع أراد من الطير الواجب وهي * الرياضة أطال الله بقاء الجناب الفلاني وجعل حبه لقلب عدوه واجبا وسعده كوصف عبده للاسار جالبا تبعث النفس على مجانبة الدعة والسكون وتصونها عن مشابهة الحمائم في الركون وتحضها على أخذ حظها من كل فن حسن وتحثها على اضافة الادوات الكاملة اللسن وتأخذ بها طورا في الجد وطورا في اللعب وتصرفها في ملاذ السمو في المشاق التي يستروح اليها التعب فتارة تحمل الاكابر والعظماء في طلب الصيد على مواصلة السرى ومقاطعة الكرى ومهاجرة الاوطان ومهاجمة الاخطار ومكابدة الهواجر ومبادرة الاوابد التي لا تدرك حتى تبلغ القلوب الحناجر وذلك من محاسن أوصافهم التي يذم المعرض عنها واذا كان المقصود من مثلهم جذا الحرب فهذه صورة لعب البهام منها وتارة تدعوهم الى البر والى الملق وتحدوهم في سلوك طرقها مع من هو دونهم على ملازمة الصدق ومجانبة الملق فيعتسفون اليها الدجى اذا سجى ويقتحمون في بلوغها جرف النهار اذا انهار ويتنعمون بوعثاء السفر في بلوغ الظفر ويستصغرون ركوب الخطر في ادراك الوطر ويؤثرون السهر على النوم والليلة على اليوم والبندق على السهام والوخدة على الالتثام ولما عدنا من الصيد الذي اتصل بعلمه حديثه وشرح له قديم أمره وحديثه بقينا الى أن نشفع صيد السوانح برمي الصوادح وان نفعل في الطير الجوانح باهلة القسي ما تفعل الجوارح تفضيلا للازمة

الارتحال على الاقامة فى الرحال وأخذا بقولهم

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

فبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتشير من الافق الغربى الى جانب رمسها وتغازل عيون النور بمقلة أرمد وتنظر الى صفحات الورد نظر المريض الى وجوه العود فكانها كئيب أضحى من الفراق على فرق أو عليل يقضى بين صحبه بقايا عمره بالرمق وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حليته المموهة بذهب شعاعها

والطل فى أعين النوار تحسبه * دمعا تحير لم يرقأ ولم يكف
كلؤلؤ ظل عطف الغصن متشحا * بعقده وتبدى منه فى شنف
يضم من سندس الاوراق فى صرر * خضر ويجنى من الازهار فى صدف
والشمس فى طفل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى
كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به الهوى فترا آهم على شرف

الى ان نضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها وولائدها فلبثنا بعد أداء الفرض لبث الاهله ومنعنا جفوننا أن ترد النوم الا تحله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع واكليله مجوهر وأديمه معنبر وبدره فى خدر سراره مستكن وفخره فى حشا مطالعه مستجن كأن امتزاج لونه بشفق الكواكب خليط امسك وصندل وكان ثرياه لامتداده معلقة بامراس كتان الى صم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كانها * عقود على خود من الزنج تنظم
محلقة فى الجو تحسب أنها * طيور على نهر المجرة حوّم
اذا لاح بازى الصبح ولت تؤمها * الى الغرب خوفا منه نسر ومرزم

الى حدائق ملتفة وجداول محتفة اذا خمش النسيم غصونها اعتنقت كالاحباب واذا ركب من المياه متونها انسابت فى الجداول انسياب الحباب ورقصت فى المناهل رقص الحباب وان اثم ثغور نورها حيته بانفاس المعشوق وان أيقظ نواعس ورقها غنته بالحان المشوق فنسيمها دان وشميمها لعرف الجنان عنوان وورودها من سهر نرجسها غيران وطلها فى خدود الورد منبث وفى طرر الريحان حيران وطائرها غرد وماؤها مطرد وغصنها تارة يعطفه النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فتحسب انها همزة على ألف مع ما فى تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح نشر الروض وكلما خر الماء شمخ القضيب

فكانما تلك الغصون اذا انثنت * أعطافها رسل الصبا أحباب
فلها اذا اقترنت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب
وكانها حول العيون مواثلا * شرب وهاتيك المياه شراب
فغديرها كاس وعذب مياهها * راح وأضواء النجوم حباب

تحيط بها مياه نطاقها صاف وظلال دوحها ضاف وحصاها الصفاء مائها فى نفس الامر راكد

وفى رأى العين طاف اذا دغدغها النسيم حسبت ماءها بتمايل الظلال فيه يفسح و يميل واذا الطردت عليه أنفاس الصبا ظننت فى تلك الغصون تارة يتموّج وتارة يسيل فكانه محب هام بالغصون هوى فمثلها فى قلبه وكان النسيم كاف بها من دنوها اليه فحيلها عن قربه

والسرو مثل عرائس * لففن عليهن الملاء
شمرن فضل الازر عن * سوق خلاخلهن ماء
والنهر كالمرآة تبصر وجهها فيه السماء

وكان صواف الطير المبيضة بتلك الحلق خيام أو ظباء باعلى الرقتين قيام أو أباريق فضة رؤسها لها فدام ومناقيرها المحمرة أوائل ما انسكب من المدام وكان رقابها لها أرماح أسنتها من ذهب أو شموع أسود رؤسها ما انطفى وأحمره ما التهب وكالطير الجليل عدة وكصرار العمر الاول جده

من كل أبلج كالنسيم لطافة * عف الضمير مهذب الاخلاق
مثل البدور ملاحة وكعمرها * عددا ومثل الشمس فى الاشراق

ومعهم قسى كالغصون فى لطافتها ولينها والاهلة فى نحافتها وتكوينها والازاهر فى ترافتها وتلوينها بطونها مدبجة ومتونها مدرجة كانها كواكب الشولة فى انعطافها أو أرواق الظباء فى التفافها لاوتارها عند القوادم أوتار ولبنادقها فى الحواصل أوكار اذا انبسطت لطير ذهب من الحياة نصيبه وان انقبضت لرمى بدت لها انه أحق بها من نصيبه ولعل ذاك الصوت زجر لبندقها أن يبطئ فى سيره أو يتخطى الغرض الى غيره أو وحشة لمفارقتها أفلاذ كبدها أو أسف على خروج بنيها عن يدها على أنها ما انبذت بنيها بالعراء وشفعت لخصمها التحذير بالاغراء

مثل العقارب أذنابا معقدة * لمن تأملها أو حقق النظرا
ان مدها قرمهم وغاية * مسافر الطير فيها وانبرى سفرا
فهو المسيء اختيار اذ نوى سفرا * وقد رأى طالعا فى العقرب القمرا

وبين البنادق كرات متفقة السرد متحدة العكس والطرد كانما خرطت من المندل الرطب أو عجنت من العنبر الورد تسرى كالشهب فى الظلام وتسبق الى مقاتل الطير مسددات السهام

مثل النجوم اذا ما سرن فى أفق * عن الاهلة لكن نونها راء
ما فاتها من نجوم الليل ان رمقت * الا ثبات يرى فيها وأضواء
تسرى ولا يشعر الليل البهيم بها * كانها فى جفون الليل اغفاء
وتسمع الطير اذ تهفو قوادمه * خوافقا فى الدياجى وهى صماء

تصونها عيبة كانها جرج درر أو درج غرر أو كمامة ثمر أو كنانة نبل أو غمامة وبل خالكة الاديم كانما رقت بالشفق حلة ليلها البهيم

كانها فى وسفها مشرق * تثبت منه فى الدجى الانجم

أودية قد أطلعت قوسها * ملونا وانبعثت أنجم

فاتخذ كل له مركزا وتقاضى من الاصابة وعدا منجزا وضمن له السعد أن يصبح اراده محرزا

كانهم في عين أفعالهم * في نظر المنصف والجاحد

قد ولدوا في طالع واحد * وأشرقوا من مطلع واحد

فسرت علينا من الطير عصابة أظلتنا من أجنحتها سحابه من كل طائر أقلع يرتاد مرتعا فوجد ولكن مصرعا وأسف يبتغي ماء جاما فورده لكن السم منقعا وحلق في الفضاء يبتغي ملعبا فبات هو وأشياعه سجد القسي وركعا فتبركنا بذلك الوجه الجميل وتداركنا أوائل القبيل فاستقبل أولنا (تما) تم بدره وعظم في نوعه قدره كانه برق لمع في غسق أو صبح عطف على بقية الدجى عطف النسق تحسبه في اسداف المنى غرة نجح وتخاله تحت أذيال الدجى طرة صبح عليه من البياض حلة وقار وله كرة من عنبر فوق منقار من قار له عنق ظليم والتفاتة ريم ومسرى غيم يصرفه نسيم

كلون المشيب وعصر الشباب * ووقت الوصال ويوم الظفر

كان الدجى غار من لونه * فامسك منقاره ثم فر

فارسل اليه عن الهلال نجما فسقط منه ما كبر بما صغر جما فاستبشر بنجاحه وكبر عند صياحه وحصله من وسط الماء بجناحه وتلاه (كى) نقي اللباس مشتعل شيب الراس كانه في عرانين سيبه لا وبله كبير اناس ان أسف في طيرانه فغمام وان خفق ٢
بجناحه فقلع له يد النسيم زمام ذو عيبة كالجراب ومنقار كالحراب ولون يضيء في الدجى كالنجم ويخدع في الضحى كالسراب ظاهر الهرم كانما يخبر عن عاد ويحدث عن ارم

ان عام في زرق الغدير حسبته * مبيض غيم في أديم سماء

أو طار في أفق السماء ظننته * في الجو شيخا عائما في ماء

متناقض الاوصاف فيه خفة الجهال تحت رزانة العلماء

فثنى الثاني اليه عنان بندقه وتوخاه فيما بين أصل رأسه وعنقه نخر كما رد انقض عليه نجم من أفقه فتلقاه الكبير بالتكبير واختطفه قبل مصافحته الماء من وجه الغدير وقارنته (أوزة) حلتها دكناء وحليتها حسناء لها في الفضاء مجال وعلى طيرانها خفة ذوات السرج وخفر ربات الحجال كانما عبت في ذهب أو خاضت في لهب تختال في مشيتها كالكاعب وتتأنى في خطوها كاللاعب وتصعر خدها كالظبي الغرير وتتدافع في سيرها مشي القطاة الى الغدير

اذا أقبلت تمشي تخطرة كاعب * رداح وان صاحت فصولة خادم

وان أعلقت قالت لها الريح ليت لي * خفا ذي الخوافي أو قوى ذي القوادم

فانعم بها في البعد زاد مسافر * وأحسن بها في القرب تحفة قادم

فلوى الثالث جيده اليها وعطف بوجه قوسه عليها اذ لجت في ترفعها ممعنة ثم نزلت على حكمه

مذعنة فاعجلها عن استكمال الهبوط واستولى عليها بعد استمرار القنوط وجارتها (لقلقة) تحكي لون وشيها او تصف حسن مشيها وتربي عليها بغرتها وتنافسها في المحاسن كغرتها كانها مدامة قطبت بمائها أو غمامة شقت عن بعض نجوم سمائها

بغرة بيضاء ميمونة * تشرق في الليل كبدر التمام

وان تبدت في الضحى خلتها * في الحلة الدكناء برق الغمام

فنهض الرابع لاستقبالها ورماها عن فلك سعده بنجم وبالها فخدت في العلو مغدة وتطاردت أمام بنده ولولا اطراد الصيد لم تلتئم نده وانقض عليها بين يديه شهاب حتفها وأدركها الاجل لخفة طيرانها من خلفها فوقعت من الافق في كفه ونفرت بقايا صفها عن صفه وأتت في أثرها (أنيسة) آنسه كانها العذراء العانسة والادماء الكانسة عليها خفر الابكار وخفة ذوات الاوكار وحلاوة المعاني التي تجلى على الافكار ولها أنس الربيب وادلال الحبيب وتلفت الزائر المريب من خوف الرقيب ذات عنق كالابريق أو الغصن الوريق قد جمع صفرة البهار الى حمرة الشقيق وصدر بهي الملبوس شهي الى النفوس كانما رقم فيه النهار بالليل أو نقش فيه العاج بالآبنوس وجناح يحميها من العطب يحكي لونه المندل الرطب لولا أنه حطب

مدبجة الصدر تفويفه * أضاف الى الليل ضوء النهار

لها عنق خاله من رآه * شقائق قد وشحت بالبهار

فوثب الخامس منها الى الغنيمة ونظم في سلك رميه تلك الدرة الثمينة وحصل بتحصيلها بين الرماة على الرتبة الجسيمة وأتى على صوتها (حدج) يسبق همته جناحه ويغلب خفق قوادمه صياحه مدبج المطا كانما خلع حلة منكبيه عن القطا ينظر من لهب ويخطر على رجلين من ذهب

يزور الرياض ويجفو الحياض * ويشبه في اللون كدر القطا

ويهوى الزروع ولا ينثني * ولا يرد الماء الا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه وأعان قوسه بامتداد باعه نخر على الالاءة كبسطام بن قيس وانقض عليه راميه فحصله بحذق وحمله بكيس وتعذر على السابع مرامه ونبا به عن بلوغ الارب مقامه فصعد هو ورب له الى جبل وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقتهما قبل فعن له (نسر) ذو قوادم شداد ومناسر حداد كانه من نسور لقمان بن عاد تحسبه في السماء ثالث أخويه وتظنه في الفضاء قبته المنسوبة اليه قد خلق كالفقراء راسه وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه واشتمل من الرياش العسلي ازارا واختار العزلة فلا تجد له الا في قنن الجبال الشواهق مزارا قد شابت نواصي الليالي وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل أشب

مليك طيور الارض شرقا ومغربا * وفي الافق الاعلى له اخوان

له حال فتاك وحلية ناسك * واسراع مقدام وفترة وان

قد دنا من مطاره وتوخى ببندقة عنقه فوقع فى منقاره فكانما هدمنه صخرا أو هدم منه بناء مشمخرا ونظر الى رفيقه مبشرا له بما امتاز به عن فريقه واذا به قد أظلته عقاب كاسر كانما أضلت صيدا أفلت من المناسر ان حطت فسحاب انكشف وان طارت فكان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف بعيدة ما بين المناكب اذا أقلعت لجت فى علو كانما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب اليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحها ورماها باول بندقة فما أخطأ قادمة جناحها فاهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب باسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر يخادع الجو عن عقابه ويستنزل الاعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع فى أوج جوها من الحضيض ونزلا الى الرفقة جذلين بربح الصفقة فوجد التاسع قد مر به (كركى) طويل السفار سريع النفار شديد العراق كثير الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه فى الجو هفيف ولاديمه لون سماء طرأ عليها غيم خفيف تحن الى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح له أثر حمرة فى رأسه كرمض جمر تحت رماد وبقية جرح تحت ضماد أو فص عقيق شفت عنه بقايا ثماد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كانما ينوس على عودين من آبنوس

اذا بدا فى أفق مقلعا * والجو كالماء تفاويفه
حسبته فى لجة مركبا * رجلاه فى الافق مجاديفه

فصبر له حتى حاذاه مجليا وعطف عليه مصليا فخر مضرجا بدمه وسقط مشرفا على عدمه طالما أفلت لسكر الكواسر من أظفار المنون وأصابه القدر بحمة من حمأ مسنون فكثر التكبير من أجله وحمله راميه من وجه الارض برجله وحاذاه (غرنوق) حكاه فى زيه وقدره وامتاز عنه بسواد رأسه وصدره له ريشتان ممدودتان من رأسه الى خلفه معقودتان من أذنيه مكان شنفه

له من الكركى أوصافه * سوى سواد الصدر والراس
ان شال رجلا وانبرى قائما * ألفيته هيئة برجاس

فاصمى العاشر له منصتا ورماه ملتفتا فخر كانه صريع الالحان أو نزيف بنت الحان فاهوى الى رجله بيده وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده وتبعه فى المطار (صوغ) كانه من النضار مصوغ تحسبه عاشقا قد مد صفحته أو بارقا قد بث لفحته

طويلة رجلاه مسودة * كانما منقاره خنجر
مثل عجوز رأسها أشمط * جاءت وفى قمتها معجر

فاستقبله الحادى عشر ووثب ورماه حين حاذاه من كثب فسقط كفارس تقنطر عن جواده أو وامق أصيبت حبة فؤاده فحمله بساقه وعدل به الى رفاقه واقترن به (مرزم) له فى

السماء سمى معروف ذو منقار كصدغ معطوف كان رياشه فلق اتصل به شفق أو ماء صاف علق باطرافه علق

له جسم من الثلج * على رجلين من نار
اذا أقلع ليلا قلت * برق فى الدجى سار

فانتحاه الثانى عشر مميما ورماه مصمما فاصابه فى زوره وحصل له من السرور ماخرج به عن طوره والتحق به (سبيطر) كانه مدية مبيطر يخط كالسيل ويكر على الكواسر كالخيل ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل يلوى فى منقاره الايم تلوى التنين فى الغيم

تراه فى الجو ممتدا وفى فمه * من الأفاعى شجاع أرقم ذكر
كأنه قوس رام عنقه يدها * ورأسه رأسها والحية الوتر

فصوب الثالث عشر اليه بندقه قطع حيه وعنقه فوقع كالصرح الممرد أو الصراط الممدد واتبعه (عناز) أصبح فى اللون ضده وفى الشكل نده كانه ليل ضم الصبح الى صدره أو انطوى على هالة بدره

تراه فى الجو عند الصبح حين بدا * مسود أجنحة مبيض خيزوم
كاسود حبشى عام فى نهر * وضم فى صدره طفلا من الروم

فنهض تمام القوم الى المتمة وأسفرت عن نجح الجماعة تلك الليلة المدلهمة وغدا ذلك الطير الواجب واجبا وكمل العدد به قبل أن تطلع الشمس عينا أو تبرز حاجبا فيالها ليلة حصرنا بها الصوادح فى الفضاء المتسع ولقيت فيها الطير ما صارت به من قبل على كل شمل مجتمع وأصبحت أشلاؤها على وجه الارض كفرائد خانها النظام أو سرب كان رقابهن من اللين لم تخلق لهن عظام وأصبحنا منصفين على مقامنا منقلبين بالظفر الى مستقرنا ومقامنا داعين للمولى جهدنا مدعين له قبلنا أوردنا حاملين ما صرعنا الى بين يديه عاملين على التشرف بخدمته والانتماء اليه

فانت الذى لم يلف من لا يوده * ويدعو له فى السر أو يدعى له
فان كان رمى أنت توضح طرقه * وان كان جيش أنت تحمى رعيله

والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ويجعله كهفا للاولياء وقد جعل * انما أثبت هذه الرسالة بكمالها لكثرة ما اشتملت عليه من الاوصاف ولتعلق بعضها ببعض (فاما التقاليد والتواقيع والمناشير وما يتعلق بذلك) فالاحسن فيها بسط الكلام وتعتبر كثرته وقلته بحسب الرتب ويجب أن يراعى فيها امور منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحال وقدر النعمة أو لقب صاحب التقليد أو اسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيا من هذه الاحوال ولا بعيدا منها ولا مباينا لها ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق المقصد من أول الخطبة الى آخرها ويحسن أن يكون الكلام منقسما فى التقليد على أربعة أقسام متقاربة المقادير فالربع الاول الخطبة والثانى ذكر موقع الانعام فى حق المقلد وذكر الرتبة

وتفخيم أمرها * والثالث فى أوصاف المقلدو ذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من
عدل وسياسة ومهابة وبعد صيت وسمعة وشجاعة ان كان نائبا ووصف العدل والرأى وحسن
التدبير والمعرفة بوجوه الاموال وعمارة البلاد وصلاح الاحوال وما يناسب ذلك ان كان وزيرا
وكذلك فى كل رتبة بحسبها * والرابع فى الوصايا وهذه هى القاعدة فى مثل ذلك ومنها أن تراعى
المناسبة وما يقتضيه الحال فلا يعطى أحدا فوق حقه ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله ويراعى
أيضا مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنقبها على مقدار ذلك ومنها أن لا يصف المتولى بما
يكون فيه تعريض بالمعزول وتنقيص له فان ذلك مما يوغر الصدور ويورث الضغائن فى القلوب
ويدل على ضعف الآراء فى اختيار الاول وله أن يصف الثانى بما يحصل به المقصود من غير
تعريض بالاول ومنها أن يتخير الكلام والمعانى فانه مما يشيع ويذيع ولا يعذر المقصر فى ذلك
بعجلة ولا ضيق وقت فان مجال الكلام عليه متسع والبلاغة تظهر فى القليل والكثير والامر
الجارى فى ذلك على العادة معروف وفى أيدى الناس مما كتبت فيه شئ كثير لكن تقع أشياء
خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب الى التصرف فيها على ما يقتضيه الحال (فمن ذلك تقليد
كتبته لمتملك سيس باقراره على ما قاطع النهر من بلاده وهو) الحمد لله الذى خص أيامنا
الزاهرة باصطناع ملوك الملل وفضل دولتنا القاهرة باجابة من سأل بعض ما أحرزته لها
البيض والاسل وجعل من خصائص ملكنا اطلاق الممالك واعطاء الدول والمن بالنفوس
التى جعلها النصر لنا من جملة الخول وأغرى عواطفنا بتحقيق رجاء من مد الى عوارفنا كف
الامل وأفاض بمواهب نعمائنا على من أناب الى الطاعة حلل الامن بعد الوجل وانتزع
بآلائنا لمن تمسك بولائنا أرواح رعاياه من قبضة الاجل وجعل بردا العفو عنه وعنهم بالطاعة
نتيجة ما أذاقهم العصيان من حرارة الغضب اذ بما ضحت الاجسام بالعلل نحمده على
نعمه التى جعلت عفونا ممن رجاه قريبا وكرمنا لمن دعاه باخلاص الطاعة مجيبا وبرنا لمن
أقبل اليه منيبا بوجه الامل مثيبا وبأسنا مصيبا لمن لم يجعل الله له فى التمسك بمراحمنا
نصيبا ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم دم من تمسك بزمامها وتحسم
مواد من عاندها بانتقام حسامها وتفصم عرى الاعناق ممن أطمعه الغرور فى انفصال
أحكامها وانفصامها وتقصم من قصد اطفاء ما أظهره الله من نورها وانقطاع ما قضاه
من دوامها وتجعل كلمة حملتها هى العليا فلا تزال أعناق جاحديها فى قبضة أوليائها وتحت
أقدامها ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق الى كل أمه المنعوت
فى الكتب المنزلة بالرأفة والرحمه المخصوص مع عموم المعجزات بخمس منهن الرعب الذى كان
يتقدمه الى من قصده ويسبقه مسيرة شهر الى من أمه المنصوص فى الصحف المحكمة على
جهاد أمته الذى لا حياة لمن لم يتمسك منهم بذمته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
فتحوا بدعوته الممالك وأوضحوا بشرعته الى الله المسالك وجلوا بنور سنته عن وجه الزمن
كل حال حالك وأوردوا من كفر بهم ورسله موارد المهالك ووثقوا بما وعد الله نبيه صلى
الله عليه وسلم حين زوى له مشارق الارض ومغاربها من أن ملكهم سيبلغ الى ما زوى الله له

من ذلك صلاة لا تزال لها الارض مسجدا ولا يبرح ذكرها مغيرا فى الآفاق ومنجدا ما استفتحت
ألسنة الاسنة النصر باقامتها وأبادت أعداءها باستدامتها وسلم تسليما كثيرا (وبعد)
فانه لما آتانا الله ملك البسيطة وجعل دعوتنا بأعنة ممالك الاقطار محيطة ومكن لنا فى
الارض وأنهضنا من الجهاد فى سبيله بالسنة والفرض وجعل كل يوم تعرض فيه جيوشنا
من أمثلة يوم العرض وأطلعتنا بوادر الفتوح وأظلت على الاعداء سيوفنا التى هى على من
كفر بالله وكفر بالنعمة دعوة نوح وأيدنا بالملائكة والروح على من جعل الواحد سبحانه
ثلاثة فانتصر بالاب والابن والروح وألقت الينا ملوك الاقطار السلم وبذلت كرائم
بلادها وتلادها رغبة فى الالتجاء من عفونا الى ظل أعلى من علم وتوسل من كان منهم يظهر
الغلظة بالذلة والخضوع وتوصل من كان منهم يبدى القوة بالاخلاص الذى رأوه لهم أقوى
الجنن وأوقى الدروع عاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم آملا ولا نصد عن مشارع كرمنا
آهلا ولا نخيب من احساننا راجيا ولا نخلى عن ظل برنا لاجيا علما ان ذلك شكر للقدرة التى
جعلها الله لنا على ذلك الآمل ووثوقا بانه حيث كان فى قبضتنا متى ما نشاء نجمع عليه الانامل
اللهم الا أن يكون ذلك اللاجى للغل مسرا وعلى عداوة الاسلام مصرا فيكون هو
الجانى على نفسه والجاثى على موضع رمسه والمفرط فى مصلحة يومه وغده ويتذكر عداوة
أمسه ولما كان من تقدم بالمملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله وعقد بحبال
الغرور آماله وحسن له التمسك بالتتار الذين هم بهيبتنا محصورون فى ديارهم
مأسورون فى حبائل ادبارهم عاجزون عن حفظ ما لديهم قاصرون عن ضبط ما استلبته
سرايانا المنصورة من يديهم ليس منهم الا من له عند سيوفنا ثار ولها فى عنقه آثار ومن
يعلم أنه لابد له عندنا من خطتى خسف اما القتل أو الاسار وحين تمادى المذكور فى
غيه وحمله الغرور على ركوب جواد بغيه أمرنا جيوشنا فجاست خلال تلك الممالك
وداست حوافر خيلها ما هنالك وساوت فى عموم القتل والاسر بين العبد والحر والمملوك
والمالك وألحقت رواسى جبالهم بالصعيد وجعلت حماتهم كزروع فلاتهم منها قائم
وحصيد فاسلمهم الشيطان ومر وتركهم وفر وما كرهم وما كر وأعلمهم أن موعدهم
الساعة والساعة أدهى وأمر وأخلفهم ما ضمن لهم من العون وقال لهم انى برىء منكم
انى أرى ما لا ترون وكان الملك فلان ممن يريد طرق النجاة فلم ير اليها بسوى الطاعة سبيلا
ويأمل أسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الالتجاء دليلا فابصر بالخدمة موضع رشده
وأدرك بسعيه نافر سعده وأراه الاقبال كيف تثبت قدمه فى الملك الذى زلت عنه قدم من
سلف وأظهر له الاشفاق على رعاياه مصارع من أورده سوء تدبير أخيه موارد التلف
وعرفه التمسك باحساننا كيف احتوت يده على ما لم يبق العصيان فى يد أخيه منه الا الأسى
والاسف وحسنت له الثقة بكرمنا كيف يحمل الطلب وأعلمته الطاعة كيف تستنزل
عوارفنا عن بعض ما غلبت عليه سيوفنا وانما الدنيا لمن غلب وانتمى الينا فصار من
خدم أيامنا وصنائع نعمائنا وقطع علائقه من غيرنا فلجأ منا الى ركن شديد وظل

مديد ونصر عتيد وحرم يؤوى آمله اليه وكرم تقر نضارته ناظريه واحسان يتعهد ما أقره عطاؤنا فى يديه وامتنان يضع عنه اصره والاغلال التى كانت عليه اقتضى احساننا أن يقضى له عن بعض ما حلت جيوشنا ذراه وحلت سطوات عساكرنا عراه وأضعفت عزمات سرايانا قواه ونشرت طلائع جنودنا ما كان ستره صفحنا اعنهم من عورات بلادهم وطواه وأن نخوله بعض ماوردت خيولنا مناهله ووطئت جيادنا غاربه وكاهله وسلكت كماتنا الملكت داره وآهله وأن يبقى مملكة هذا البيت الذى مضى سلفه فى الطاعة عليه ويستمر ملك الارض الذى أهمل السعى فى مصالحه بيديه ليتيمن رعاياه به ويعلموا أنهم أمنوا على أرواحهم وأموالهم بسببه ويتحققوا أن أثقالهم بحسن توصله الى طاعتنا قد خفت وان بوادر الامن بلطف توصله الى مراضينا قد أطافت بهم وحفت وان سيوفنا التى كانت مجردة على مقاتلهم بجميل استعطافه قد كفتهم بأسها وكفت وان سطواتنا الحاكمة على أرواحهم قد عفت عنهم بملاطفته وعفت فرسم أن يقلد كيت وكيت من المملكة الفلانية ويستقر بيده استقرارا لا ينازع فى استحقاقه ولا يعارض فيما سبق من اعطائه واطلاقه ولا يطالب عنه بقطيعة ولا يطلب منه بسببه غير طوية مخلصة ونفس مطيعة ولا يخشى عليه يد جائرة ولا سرية فى طلب الغرة سائرة ولا يطرق كناسه أسد جيوش مفترسة ولا سباع نهاب مختلسة بل تستمر بلاده المذكورة فى ذمام رعايتنا وحصانة عنايتنا وكنف احساننا ووديعة برنا وامتناننا لا تطمع اليها عين معاند ولا يمتد اليها الا ساعد مساعد وعضد معاضد فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذى هداه الى الطاعة وصان باخلاص الطوية ولاية نفسه ونفائس بلاده من الاضاعة وليقرن ذلك باصفاء موارد المودة واضفاء ملابس الطاعة التى لا تزداد بحسن الوفاء الا جده واستمرار المناصحة فى السر والعلن واجتناب المخادعة ما ظهر منها وما بطن وأداء الامانة فيما استقر معه الحلف عليه ومباينة ما نخشى أن نتوجه بسببه وجه عتب اليه واستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها واستقالة أحوال هذه المنة برفض موجبات الكدر واجتنابها واخلاص النية التى لا تعتبر ظواهر الاحوال الصالحة الا بها *(ومن تقليد كتبته لسلامس بمملكة الروم حين ورد كتابه فى شوال وذلك قبل حضوره)* أوله الحمد لله الذى أيدنا بنصره وأمدنا من جنود الظفر بما لم يؤت ملك فى عصره وجعل مهابتنا قائمة فى جهاد عدو الدين ان قرب مقام كسره وان بعد مقام حصره ونشر دعوة ملكنا فى الاقطار كلها اذا اقتصرت دعوة غيرنا من ملوك الامصار على مصره وأنجد من نادانا بلسان الاخلاص من جنود الله وجنودنا بالجيش الذى لم تزل أرواح العدا بأسرها فى أسره وعضد من تمسك بطاعة الله وطاعتنا من اجابة عساكرنا بما هو أقرب الى مقاتل عدوه من بيضه المرهفة وسمره وأعاد بنا من حقوق الدين كل ضالة ملك ظن العدو ان أمره غالب عليها والله غالب على أمره فجنودنا الى نصرة من دعاها بالايمان أقرب من رجع نفسه اليه وأسرع من رد الصدى جوابه عليه وأسبق الى عدو الدين من مواقع عيانه وأقدر على التصرف فى أرواح أهل

الشرك من تصرف يد الكمى فى عنانه وأذب عن حمى الدين من الجفون عن نواظرها واضرى فى اغتيال نفوس المعتدين من أسود عنت الفرائس لكواسرها قد عودها النصر الالهى أن لا تسل ظباها فتغمد حتى تستباح ممالك وضمن لها الوعد المحمدى انها الطائفة الذين لا يزالون ظاهرين الى يوم القيامة حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك نحمده على نعمه التى لم تزل تصون بها حمى الدين وتصول ويورد بأسها من انتصر بنا مورد عز بحرمه لمع الاسنة فوقه فليس لشيطان من العدى اليه وصول (ومنه) وبعد فان أولى ما أصغت عزائمنا الشريفة الى نداء اخلاصه وأجابت مكارمنا العميمة دعاء انتمائه بالولاء واختصاصه وقابلت مراسمنا استنصاره فى الدين بالنفير لاعانته على ما ظفرنا باقتلاعه من يد الكفر واقتناصه وتكفلت له مهابتنا بالامن على ملك مذ وسمه باسمنا الشريف يئس العدو من استخلاصه وأجيبت كتبه فى الاستنجاد بسرعان الكتائب ولمعان القواضب وتتابع امداد جيوشنا التى تنوء بحملها كواهل المشارق وغوارب المغارب وتدفق أمواج عساكرنا التى ينشد طلائعها ملوك العدى أين الفرار ولا مفر لهارب وتأتلق بروق النصر من خفق ألويتنا الشاهدة بان قبيلنا اذا ما التقى الجمعان أول غالب (ومنه) وفوضت اليه مراسمنا الحكم فى الرعايا بالعدل والاحسان وقلدته أوامرنا من عقود النظم فى تلك الممالك ما تود جباه الملوك لو حلت بدره معاقد التيجان وعلقت به من الاوامر ما بنا تنفذ مواقعه وكذا الامور المعتبرة لا تنفذ الا بسلطان من ألقى الله الايمان فى قلبه وهداه الى دين الاسلام فاصبح فيه على بينة من ربه وأراد به خيرا فنقله من حزب الشيطان الى حزبه وأنقذه بطاعته من موارد الهلاك بعد أن كان قد أذن بحرب من الله ورسوله ولقد خسر الدنيا والآخرة من آذن الله بحربه وأيقظه من طاعتنا التى أوجبها على الامم لما أبصر به رشده ورأى قصده وعلم به أن الذى كان فيه كسراب بقيعة لم يجده شيأ وان الذى انتقل اليه وجد الله عنده وأنهضه من موالاتنا بما حتم به من النهوض على كل من كان مسلما وأخرجه بنور الهدى من عداد أعدائه الذين تركهم خوفنا كانما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما وأراه من الرشد ما علم به أن الله تعالى أورثنا ملك الاسلام فبطاعتنا يتم الانتماء اليه وأعطانا مقاليد البسيطة فمن اغتصب منها شيأ انتزعه الله بجنوده المسومة من يديه فلجأ من أبوابنا العالية الى الظل الذى يلجأ اليه كل ذى منبر وسرير ورجا من كرمنا الاعتصام بجيوشنا التى ما رمينا بها عدوا الا ظن ان الرمال تسيل والجبال تسير وتحيز منا الى فئة الاسلام وانتصر بسيوفنا التى هو يعلم كيف تسلها على العدى الاحلام ومت الينا بذمة الاسلام وهى عندنا أبر الذمم وطلب تقليده الحكم منا من عرف بادارته النظرات الصادقة انه كان يحسب الشحم فيمن شحمه ورم وعقد بنا بناء رجائه وهل لمسلم عن ملك الاسلام من معدل وأنزل بنا ركائب آماله وهل بعد رامة لمرتاد من منزل فتلقت نعمتنا كرائم قصده بالترحيب وأحلت وفادة انتمائه بالحرم الذى شأوه بعيد ونصره قريب وتسارعت الى نصرته جنودنا التى أيامها مشهورة فى عدوها وآثارها مشكورة فى رواحها وغدوها

واعلامها منصورة فى انتزاحها ودنوها وتتابعت يتلو بعضها بعضا تتابع الغمام المتراكم والموج المتلاطم تقدم عليه بالنصر القريب من الامد البعيد وتعلم بوادرها ان طلائعها عنده وساقتها بالصعيد ولما كان فلان هو الذى أراد الله به من الخير ما أراد ووطد له بعنايته أركان الرشاد وشاد وجعل له بعد الجهل به علما وتداركه برحمته فما أمسى للاسلام عدوا حتى أصبح هو ومن معه له سلما قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وبكرمه العميم فليفسحوا صدورهم ويشرحوا وبارشاده الجلى وهدايته فليدعوا قومهم الى ذلك وينصحوا وحين وضحت له هذه الطرق أرشدته من خدمتنا الشريفة الى الطاعة ودلته على موالاة ملك الاسلام التى من لم يتمسك بها فقد فارق الجماعة فان الله تعالى قرن طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعة أولى الامر وحث على ملازمة الجماعة فى وقت يكون المتمسك فيه بدينه كالقابض على الجمر وهذا فعل من أراد الله به خيرا وسعى من يحسن فى دين الله سيرة وسيرا ولذلك اقتضت آراؤنا الشريفة امضاء عزمه على الجهاد بالاتحاد وانفاذ سهمه فى أهل العناد بالاسعاف والاسعاد وأرسلنا الجيوش الاسلامية كما تقدم شرحه يطوون الفدافد ويستقربون المدى النازح ويأخذون كل كمى فلو استطاع السماك لم يتسم بالرامح ويحتسبون المشقة فى طلب عدو الاسلام علما انهم لا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم به عمل صالح فرسم بالامر الشريف لازال يهب الدول ويقلد أجياد العظماء ماتود لو تحلت ببعض فرائده تيجان الملوك الاول أن يفوض اليه نيابة الممالك الفلانية تفويضا يصون به قلاعها ويصول بحماتها على من حاول انتزاعها من يده واقتلاعها ويجريها على ما ألفت مما لكنا من أمن لا يروع سربه ولا يكدر شربه ولا يوجد فيه باغ يخاف السبيل بسببه ولا من يجرد سيف بغى وان جرده قتل به وليحفظ من الاطراف ما استودعه الله وهذا التقليد الشريف حفظه وليعمل فى قتال مجاوريه من العدى بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (ومنه) وليعلم أن جيوشنا فى المسير اليه متى قصد عدوا سابقت خيولنا خيالها وجارت جيادها ظلالها وأنبت سنابكها أن تجعل غير جماجم الاعداء نعالها وها هى قد تقدمت وأقدمت ونهضت لانجاده فلو سامها أن تخوض البحار فى سبيل الله لخاضت أو تصدم الجبال لصدمت (ومنه) والشرع الشريف فهو المقدم وأمره السابق على كل ما تقدم فليعل مناره ويستشف فى أموره أنواره وينفذ أحكامه ويعاضد حكامه ومن عدل عن حكمه معاندا أو ترك شيأ من أحكامه جاحدا فقد برئت الذمة من دمه حتى يفئ الى أمر الله ويرجع عن عناده وينيب الى الله فان الله يهدى اليه من أناب وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (ومن ذلك من تقليد فى الفتوة) نحمده على ما منحنا من نعم شتى ووهبنا من علم وحلم غدونا بهما أشرف من أفتى فى الكرم وفتى وآتانا ملك خلال الشرف الذى لا ينبغى لغيرنا ما اختصصنا به من الكمال ولا يتأتى وخصصنا به من رفع الطاعة الى بهاء النعم يتبوؤن من جنان الكرم حيث شاؤا وغيرهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى ونشهد أن لا اله الا الله وحده

لا شريك له شهادة من انتمى فى فخار أبوة التقى الى حسب على وانتهى فى بنوة المروءة الى سبب قوى ونسب زكى وارتدى حلل الوقار بواسطة الفتوة عن خير وصى عن أشرف نبى ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى نور شريعته جلى وجاه شفاعته ملى وبسيفه وبه حاز النصر والشرف من انتمى اليه فلا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على (وبعد) فان أولى من لبى احساننا نداء وده وربى امتناننا نتائج ولائه الموروثة عن ابيه وجده ورقاه كرمنا الى رتبة عليا يقف جواد الامل عن بلوغها عند حده وتلقت كرامتنا وفد قصده بالترحيب وأنزلت جار رجائه من مصر نصرها بالحرم الامن والربيع الخصيب وأدنت لامله ما نأى من الاغراض حتى بلغه بفضله سهم اجتهاده المصيب وأعدت له من حلل الجلالة ما هو أبهى من رداء السماء التى يزداد على الابد جدة برده القشيب وخصه لا بتناء المجد بأجل بنوة جعلت له فى ارث خلال الشرف أوفى حظ وأجزل نصيب من سمت منابر المجد بذكره وانبعثت أسرة الحمد بشكر أوصافه ووصف شكره واختالت مواكب الثناء بحسن خلاله واجتازت كواكب السنا اقبال طوالعه وطوالع اقباله وتمسك من طاعتنا بأمتن أسباب الهدى واعتصم بعروة موالاتنا فأوطأه التوثق بها رقاب العدى واتصف بمحاسن الشيم فى مودتنا فاضحى فتى السن كهل الحلم يهتز للندى وانتمى الينا فأصبح لدينا مليكا مقربا وأوجب من حقوق الطاعة علينا ما أمسى به عندنا مع جلالة الابناء ابنا وغدونا له مع شرف الآباء فى نسب الفخر العريق أبا ونشأ فى مهاد الملك فسما به العلم والعلم والسيف والقلم والبأس والكرم واعتزى الى أبوة حنونا ببنوة رجائه فتشبه بعدل أيامنا ومن أشبه أباه فما ظلم وتحلى بصدق الولاء وهو اول ما يطلب فى سر هذا النسب ويعتبر وتخلى لنكاية عدو الاسلام بلطف مكائده اذ السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الابر ولما كان فلان الذى نظم بموالاتنا عقود مجده وزاد فى طاعتنا على ما ورث من مكارم أبيه وجده وساد الملوك فى اقبال شبابه وصان ملك أبيه عن عوارض أوصابه باتباع ما أوصى به وانفت صوارمه ان تكون لغير جهاد أعداء الله معدة وعزائمه أن تتخذ عدو الله وعدوه أولياء يلقى اليهم بالمودة وسهامه أن تسدد الا الى مقاتل العدى واسنته أن يبل لها من غير منا هل صدور الكفر صدى مع اجتماع هلال الشرف بشرف خلاله وافتراق أسباب السرار عن هالة كماله وسؤاله ما ليس لغيره أن يمد اليه يدا والتماسه من كرمنا العميم أجل ما نحل والد ولدا وانه وقف على قدم الرجاء الثابت ومت بقدم غروس الولاء التى أصلها فى روض المودة ثابت وقال أسأل الله وأسأل سلطان الارض القائم من جهاد أعداء الله بالسنة والفرض ناصح الابصار الذى لم تزل سيوفه تهاجر عن غمودها فى سبيل الله الى أن صار له من الملائكة الكرام أنصار الذى شرف الله شرف الفتوة بانتمائها اليه وأعلى قدر بنوة المروءة باتصالها به عن الخلفاء الراشدين عن أب فأب عن أمير المؤمنين عن على بن أبى طالب رضوان الله عليه وأورثه من خلقه الكرم والباس فتحليا منه بأجل مواف وأكمل موافق ومنحه بحفظ العهد الذى من خصائصه ما عهد به اليه النبى الامى من انه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق

أعز الله سلطانه وأوطأ جياده معاقل الكفر وأوطانه أن يتقبل قصدى بقبول حسن
ويقبل بوجه كرمه على املى الذى لم يقعد به عن فروض الطاعات وسننها وسن ويتظمنى فى
سلك عقود الفتوة ملتزما باسبابها متسما بطاعته التى هى اكمل انسابها متصفا بعوالاته التى
لا يثبت لها حكم الاباء آتيا بشروط خدمته التى من لم يأت بها على ما يجب فما أتى البيوت
من أبوابها فاستخرنا الله تعالى فى عقد لواء هذا الفخار لجده فخار ونظمناه لعقد هذا
المقام الكريم واسطة لمثله كان رتبتها الادخار ولذلك رسم بالامر الشريف لازال جوده
يعلى الجدود ان يصل نسبه بهذا النسب الكريم ويعقد حسبه فى الفتوة بأواخى هذا
الحسب الصميم ويعرف نسبه باصالة هذه الابوة التى هى الا عن مثله عقيم ويفاض عليه
شعار هذا الخلق المتصل عن اكرم وصى بمن قال الله فى حقه وانك لعلى خلق عظيم فليحل
هذه الهضبة التى أخذت من أفق العز بالمعاقد ويحل هذه الرتبة التى دون بلوغها من انواع
الفراقد ألف راقد ويجر رداء الفخر على أهداب الكواكب ويزاحم بمواكب مجده
النجوم على ورود نهر المجرة بالمناكب وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه أهلا
لذلك وليقت فى الفتوة بما علم من مذهبها الذى انتمى فيه منا الى مالك وليطل على ملوك
الاقطار بهذه الرتبة التى تفانى الرجال على حبها ويصل على صروف الاقدار بهذه الغاية التى
جعلته وهى حزب الله من حزبها وليصن سر هذا الفضل العميم بابداعه الى أهله وانتزاعه
ممن لم يره أهلا لحمله وفيما أوردته من هذه الانواع كفاية فى ذلك وما ناسبه (فأما الكتب
الاخوانية) والكتب التى تعمل رياضة للخاطر فيما يقل وقوعه لاحتمال أن يقع أو فيما
تمتحن به قوة القريحة ويعتبر به تصرف الفطنة ويسبر به غور الذهن ويعلم به استعداد
الفكر فان الكاتب فى ذلك الامر مطلق العنان مخلى بينه وبين قوته فيه أو ضعفه لكن على
كل حال يراعى كل مقام بحسبه فمما عملته رياضة للخاطر اصعو به مسلكه صورة كتاب الى
انسان يتضمن مخاطبته فى ترويج أمه (وهو هذه المكاتبة) الى فلان جعله الله يؤثر دينه على
الهوى وينوى بأفعاله الوقوف مع أحكام الله وانما لكل امرئ ما نوى ويعلم أن الخير والخيرة
فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن الشر والمكروه فيما طوى ذعرض له بأمر
لا حرج عليه فى الاجابة اليه ولا خلل يلحقه به فى المروءة وهل أخل بالمروءة من فعل ما حض
الشرع المطهر عليه وأظهر الناس مروءة من أبلغ النفس فى مصالح حرمه عذرها ووفى من
حقوق أخصهن ببره كل ما علم ان فيه برها واذا كانت المرأة عورة فان كمال صونها فيما جعل الله
فيه سترها وصلاح حالها فيما أصلح به فى الحياة أمرها واذا كان النساء شقائق الرجال
فى باطن أمر البشرية وظاهره وكان الاولى تعجيل أسباب العصمة فلا فرق بين أول وقت
الاحتياج الى ذلك وآخره وما جدع الحلال أنف الغيرة الا ليزول شمم الحمية وتنزل على
حكم الله فيما شرع لعباده النفوس الابية ويعلم أن الفضل فى الانقياد لامر الله لا فى اتباع
الهوى بعضل الوليه واذا كان بر الوالدة أتم وحقها أعم والنظر فى صلاح حالها أهم تعينت
الاجابة الى ما يصلح به حالها ويسكن اليه بالها ويتوفر به آمالها ويعمر به فناؤها

مكاتبة فى زواج الامير على من تزوج امه

ويحصل

ويحصل به عن تقلد المنن استغناؤها وتحمل به كافة الخدمة عنها ويدفع به ضرورات لا بد
لذوات الحجاب والجمال منها ويضفو به ستر الاحصان والحصانة عليها ويظهر به
سرما أوجبه الله لها من تتبع مواقع الاحسان اليها وقد تقدم من سادات السلف من تولى
ذلك لوالدته بنفسه واعتده من أسباب بر يومه الذى قابل به ما أسلفته اليه فى أمسه علما
منهم أن استكمال البر بها يعلى قدر المرء ويغلى وقد أجاب زيد بن زين العابدين هشاما لما سأله لم
زوجت أمك بعد أبيك فقال لتبشر بآخر مثلى لا سيما والراغب الى المولى فى ذلك ممن يرغب
فى قربه ويغبط على ما لديه من نعم ربه ويعظم لاجتماع دنياه ودينه ويكرم ليمن نقيبته
وجود يمينه ويعلم أن العقيلة تحل منه فى أمنع حرم وتستظل من ذراه بأضفى ستور الكرم
مع ارتفاع حسبه واشتهار نسبه وعلو قدره فى منصبه وحاله وسببه وأنه ممن يحسن أن يحل من
المولى محل والده وأن يتحمل من ذريته بمن يكون فى الممات بمثابة ابيه وعضد الساعده
فان المرء كثير بأخيه واذا أطلق عليه بحكم المجاز لفظ العمومة فان عم الرجل صنو أبيه وأنا
أتوقع من المولى الجواب بما يجمع شمل التقى ويعلم به أنه يخير من البر أفضل ما ينتقى ويتحقق
بفعله أن مثله لا يهمل واجبا ولأمر ما قال الاحنف وقد وصف بالاناة لكن أتعجل أن لا
أرد كفؤا خاطبا (ومن ذلك) ما أنشأته الى من هزم هو وجيشه يتضمن اقامة عذره ووصف
اجتهاده ويحث على معاودة عدوه والطلب بثاره رياضة للخاطر وهو هذه المكاتبة الى فلان
لا زال مأمون الغرة مأمول الكرة مجتنيا حلو الظفر من أكمام تلك المرة المرة راجيا من
عواقب الصبر أن تسفر له مساءة تلك المساءة عن صبح المسرة واثقا من عوائد نصر الله باعادته
ومن معه فى القوة والاستظهار كما بدأهم أول مرة أصدرها وقد اتصل بنا نبأ ذلك المقام الذى
أوضحت فيه السيوف عذرها وأبدت به الكماة صبرها وأظهرت فيه الحماة من الوثبات
والثبات ما يجب عليها وبذلت فيه الابطال من الجلاد جهدها ولكن لم يكن الظفر اليها
فكان عليهم الاقدام على غمرات الحرب الزبون والاصطلاء بجمرات المنون ولم يكن عليهم
اتمام ما قدر انه لا يكون فكاثرت رقاب الاعداء فى ذلك الموقف السيوف وكاثرت
أعدادهم الحتوف وتدفقت بحارهم على جداول من معه ولولا حكم القدر لا نتصفت تلك
الآحاد من تلك الالوف فضاق بازدحام الصفوف على رجاله المجال وزاد العدد على الجلد فلم
يفد الاقدام على الاوجال مع قدوم الآجال وأملى للكافرين بما قدر لهم من الانظار وحصل
لهم من الاستظهار وعوضوا بما لم يعرفوه من الاقدام عما ألفوه من الفرار ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وقد ورد أنهم ينصرون كما تنصرون واذا كانت الحروب
سجالا فلا ينسب الى من كانت عليه وبالا اذا اجتهد ولم يساعده القدر انه قصر مع أنه قد
اشتهر بما فعله فى مجاله من الذب عن رجاله وما أبداه فى قتاله من الضرب الذى ما تروى فيه
خصمه الا بدره بارتجاله وان الرماح التى امتدت اليه أخرس سيفه ألسنة أسنتها والجياد التى
أقدمت عليه جعل طعنة أكفالها مكان أعنتها فأثبت فى مستنقع الموت رجله ووقف وما فى
الموت شك لواقف ليحمى خيله ورجله حتى تحيز أصحابه الى فئة مأمنهم وأقام نفسه دونهم

دريئة لمن بدر من سرعان القوم أو ظهر من مكمنهم وهذا هو الموقف الذى قام له مقام النصر اذفاته النصر والمقام الذى أصيب فيه من أصحابه آحاد يدركهم أدنى العدد وفقد فيه من أعدائه مع ظهورهم ألوف لا يدركهم الحصر وكذا فليكن قلب الجيش كالقلب يقوى بقوته الجسد واذا حق اللقاء فلا يفر عن كناسه الا الظبى ولا يحمى عرينه الا الاسد ومابقى الا أن تعفو الكلوم وتثوب الحلوم وتندمل الجراح وتبرأ من فلول المضارب صدور الصفاح وننهض لاقتضاء دين الدين من غرمائه المعتدين ونبادر الى استنجاز وعد الله فان الله يمحص المؤمنين ويمحق الكافرين والليث اذا جرح كان أشد لثباته وأمد لوثباته والموتور لا يصطلى بناره والثائر لا يرهب الاقدام على المنون فى طلب ثاره والدهر ذو دول والزمان متلون ان دجت عليكم منه بالقهر ليلة واحدة فقد أشرقت لكم منه بالنصر ليال أول فالمولى لا يلتفت الى مافات ويقبل بفكره على تدبير ماهو آت ويعد للحرب عدته ويجعل أمد الاستظهار ومدته ولا يؤخر فرصة الامكان ولا يعد ذكر مامضى فانه دخل فى حيز كان ولا يظن ماجرى عجزا فان العاجز من ظن أنه يصيب ولا يصاب ولا يتخذ غير ظهر حصانه حصنا فلا حرز امنع من صهوة الجواد ولا سلم أسلم من الركاب وليعلم أن العاقبة للمتقين ويدرع الصبر ليكون من النصر على ثقة ومن الظفر على يقين فان الله مع الصابرين ومن كان الله معه كانت يده الطولى واذا لقى عدو الله وعدوه فليصبر لحملته فان الصبر عند الصدمة الاولى والله تعالى يكلؤه بعينه ويمده بعونه ويجعل الظفر بعدوه موقوفا على مطالبته له بدينه (ومن ذلك) ما أنشأته فى مثله لكنه يتضمن ذم المهزوم وذم جيشه والتقريع لهم والتهكم بهم وينسبهم الى الوهن والذلة وهو هذه المكاتبة * الى فلان أقال الله عثرة زلته وأقامه من حفرة ذلته وتجاوز عن كسرة فراره من جمع عدوه على قلته بلغنا أمر الواقعة التى لقى فيها العدو بجماع قليل عناؤه ضعيف بناؤه كثيف فى رأى العين جمعه خفيف فى المعنى وقعه ونفعه أسرع فى مفارقة المجال من الظل فى الانتقال وأشبه فى مماثلة الوجود بالعدم من طيف الخيال يمشون اليه بقلب واجب ويهتدون بمن يخرصه برأى بينه وبين الصواب ألف حاجب ويأتمون منه بمقدم يرى الواحد من عدوه كالف ويتسرعون منه وراء مقدام يمشى الى الزحف ولكن الى خلف جناح جيشه مهيض وطرف سنانه غضيض وساقة عسكره طالعة وطلائعه كالنجوم ولكن فى حال كونها راجعة تأسف السيوف بيمينه على ضارب وتأسى الجنائب حوله اذ تعد للهارب فتعد لهارب وانه حين وقعت العين على العين وأيقن عدوه لما رأى من عدده وعدده معاجلة الحين أعجل نصول العدى عن وصولها وترك غنيمة الظفر لعداه بعد أن أشرف على حصولها تناديه ألسنة أسنة الكرم ولا يلتفت الى ندائها وتشكو اليه سيوفه الظمأ وقد رأت موارد الوريد فيعيدها الى الغمود بدائها فتبع عدوه مقاتل رجاله وأباحهم كرائم مال جنده وماله وخلى لهم خزائن سلاحه التى أعدها لقتالهم فأصبحت معدة لقتاله فنجا منجا الحرث بن هشام وآب بسلامة أعذب منها الوعقل شرب كأس الحمام واتسم بين أوليائه وأعدائه بسمة الفرار وكان يقال النار

ولا

ولا العار فجمع له فراره من الزحف بين النار والعار وغادر جمع موفور من الجراح موفر من الاثم والاجتراح لاعلم بما جرى عند أسيافهم ولا شاهد بما شاهدتهم الوغا غير مواقع الظبا فى أكتافهم فبأى جنان يطمع فى معاودة عدوه وهذا اقلمه وهؤلاء حزبه وذلك القتال قتاله وتلك الحرب حربه وبعد فان كانت له حمية فستظهر آثارها أو اريحية فستشب نارها أو أنفة فستحمله على غسل هذه الدنية وتبعثه على طلب غايتين اما شهادة مريحة أو الحياة هنية والله تعالى يوقظ عزمه من سنته ويجعل له الانتصاف من عدوه قبل اكمال سنته (ومن ذلك) ما كتبته على لسان المهزوم تجربة للخاطر أيضا يتضمن الاعتذار ويصف الاحتفال بأخذ الثار وهو هذه المكاتبة * الى فلان أتبع الله ماساءه من أمر نامع العدو بما يسره وبلغه عنا من الانتصاف والانتصار ما ظهر من صدور الصفاح وألسنة الرماح سره وأراه من عواقب صنعه الجميل بنا ما يتحقق به أن كسوف الشمس لا ينال طلعتها وأن سرار القمر لا يضره نوضح لعلمه أنه ربما اتصل به خبر تلك الوقعة التى صدقنا فيها اللقا وصدمنا العدو صدمة من لا يحب البقا وأريناه حربا لو أعانها التأييد فلت جموعه وأذقناه ضربا لو أن حكم النصر فيه الى النصل أوجده مصارعه وأعدمه رجوعه وحين شرعت رياح النصر تهب وسحاب الدماء من مقاتلهم تصوب وتصب وكرعت الصفاح فى موارد نحورهم وكشفت الرماح خبايا صدورهم ولم يبق الا أن تستكمل سيوفنا الرى من دمائهم وتقف صفوفنا على ربوات اشلائهم وتقبض بالكف من صفحت الصفاح عن دمه وتكف بالقبض يد من ألبسته الجراح حلة عدمه أطمع والجزع فى عزائمهم وحكموا الطمع فى غنائمهم فحصل لجندنا اعجاب أعجل سيوفنا أن تتم هدم بنائهم وطمع منع فوارسنا أن تكف عن النهب الى أن تصير من ورائهم فاغتنم العدو تلك الغفلة التى ساقها المهلكان العجب والطمع وانتهز فرصة الكرة التى أعانه عليها الطمعان ابداء الهلع وتخلية ماجمع فانتثر من جمعنا بعض ذلك العقد المنظم وانتقض من حزبنا ركن ذلك الصف الذى قد أخذ فيه الزحام بالكظم وثبت الخادم فى طائفة من ذوى القوة فى يقينهم وأرباب البصائر فى دينهم فكسرنا جفون السيوف وحطمنا صدور الرماح فى صدور الصفوف وأريناهم تلك الالوف كيف تعد الآحاد بالالوف وحلنا بين العدو وبين أصحابنا بضرب يكف اطماعهم ويرد سراعهم ويعمى ويصم عن الآثار والاخبار أبصارهم وأسماعهم الى أن نفسنا للمهزوم عن خناقه وأيأسنا طالبه من لحاقه ورددناه عنه خائبا بعد أن كادت يده تعتلق بأطواقه وأحجم العدو مع مايرى من قلتنا عن الاقدام علينا ورأى منا جدا كاد لولا كثرة جمعه يستسلم به الينا وعادوا ولنا فى قلوبهم رعب يثبتهم وهم الغالبون ويدركهم وهم الطالبون ويسلبهم رداء الأمن وهم السالبون وقد لم الخادم شعث رجاله وضم فرقهم بذخائر ماله وأمدهم بنفقات أصلحت أحوالهم وأطلقت فى طلب عدوهم أقوالهم وسلاح جدد استطاعتهم وأعان شجاعتهم وخيول تكاد تسابقهم الى طلب عدوهم وتحضهم على أخذ حظهم من اللقاء كأنها تساهمهم فى أجر رواحهم وغدوهم وقد نضوا رداء الاعجاب

عن أكتافهم واعتصموا بعون الله وتأييده لا بقوة جلدهم ولا بحدة أسيافهم وسيحلون العدوان شاء الله تعالى عن اندمال جراحه ويتجلون اليه بجيوش تسوء الذعها في مسائه وتصبحه كأنها في صباحه والله تعالى لا يكلنا الى جلدنا ولا ينزع أعنة نصره من يدنا (ومن ذلك) ما بلغني أن بعض نواب السلطنة بالشام جاءه ولده وهو مسافر في الصيد فاقترح أن يكتب على لسان المولود الى والده فقلت في ذلك ولم أكتب * يقبل الارض ابتداء بالخدمة من حين ظهر الى الوجود وشوقا الى امتطاء صهوات الجياد بين يدي سيده قبل المهود وتمنيا أن يكون أول شئ يقع عليه نظره من الدنيا وجه مولانا الذي تعلو بنظره الجدود ويتيمن برؤيته كواكب السعود وينهي انه تعجل الشوق على صغره وكان كمال المسرة به أن يقع نظر مولانا الشريف عليه قبل البشرى بخبره لتلقى عليه أشعة سعادة مولانا في ساعة ظهوره ويكتسي قبل أن تلقى عليه الملابس من اشراق محياه الكريم حلل نوره ويكون أول ما يلج مسامعه صوت مولانا بحمد ربه على الزيادة في خدمه وتكثير من يضرب بين يديه في الحرب بسيفه ويقف في السلم أمامه على قدمه فان من يكون نجل مولانا تنطق بالنجابة مخائله وتدل على الشجاعة سماته قبل أن تدل عليها شمائله والهلال سيصير في أفقه بدرا منيرا والشبل سيعود لأبيه أسدا هصورا والله تعالى يهب العبد عمرا يبلغ به من طاعة مولانا ما يجب عليه ويرزقه عملا صالحا يتقرب به الى ربه واليه بمنه وكرمه * وقد أتيت في هذه الاوراق بأنواع من الكتابة مما يكثر استعماله ومما يقل ومما يحتمل أن يقع أو يمتحن الكاتب به وأما الاخوانيات فصاحبها بحسب اختياره جار على جادة اقتراحه وفي هذا مقنع وأنا أسأل الله تعالى التجاوز عن زلل اللسان وأرغب الى متأمله في الاغضاء عن عثرة القلم وكبوة الخاطر ونبوة الذهن فلم يكن القصد الا التمثيل في تلك الانواع وذلك يحصل بالكلام المقبول دون المختار

حمد المنشي منشورات الوجود من العدم وناظم قوافيها كما جرى به القلم في القدم وصلاة وسلاما على من أوتي جوامع الكلم وعلى أصحابه الذين عمل كل منهم بما علم (وبعد) فهذا كتاب يبتهج بطلعته الاديب وتقر به عين مطالعه الاريب اشتمل على فن البديع في غاية البيان مع ما انضم اليه من الرسائل البليغة الحسان التي تشهد لمؤلفها بالسبق في ابراز مخدرات المعاني البهيه وتشييد المباني المتينة العليه وقد تم طبعه على هذا الوجه الجميل بالمطبعة الوهبية ذات الفضل الجليل على ذمة من تحلى بحسن الشمائل التي هي على لطف طبعه دلائل حضرة الخواجه يوسف شسيث كان في عونه المولى المغيث مصححا بقدر الامكان بمعرفة مصطفى وهبي المفتقر الى فيض ربه المنان في أواخر ذي الحجة الذي هو ختام سنة ثمان وتسعين بعد المائتين والالف من هجرة من كان كما يرى من الامام يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه وأصحابه المنتمين اليه ما جرى أدهم القلم في ميدان المعارف وحاز قصب السبق من انبرى لبذل العوارف

تم في ٢١ نومبر سنة ١٨٨١ ميلاديه

